سلسلة التنشئة المسيحيّة
٨



إعلان إنجيل السلام
(أفسس ٥/١٦)

زمن الميلاد المجيد
٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

بشاره الراعي
مطران جبيل

26
R14

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

إعلان إنجيل السّلام
في زمن الميلاد

تـألـيـــف   **المطران بشاره الرّاعي**

منشـورات   جامعة سيّدة اللويزة ©

ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل - لبنان

تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١

فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١

www.ndu.edu.lb

الطّبعة الأولى   ٢٠٠٦

القـيـــاس   ١٤,٥ × ٢١,٥ سم

تـنـفـيـــذ   مطابع معوشي وزكريّا

ISBN 9953-457-07-7



سلسلة التنشئة المسيحيّة

٨

263915
R1492mal

إعلان إنجيل السلام

(أفسس ٥/١٦)

أناجيل الآحاد حسب السنة الطقسيّة المارونيّة

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

زمن الميلاد المجيد

المطران بشاره الراعي
مطران جبيل

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

المحتوى

تقديم

في زمن الحروب المتنامية هنا وهناك، وبالرّغم من أنّ العالم أصبح، بفضل وسائل الاعلام والعولمة، قرية صغيرة، فإنّ القلوبَ مع هذا كلّه تتباعد وتتنافر، وتبرز الحاجة الملحّة إلى "**إعلان إنجيل السلام**" (أفسس ٥/١٦).

مع بداية السنة الطقسيّة ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧، يظهر العدد الثامن من سلسلة التنشئة المسيحيّة، وفيه شرح الانجيل، ووجوه من القدّيسين الذين تعيّد لهم الكنيسة في الأسبوع السابق لكلّ أحد، وخطّة راعويّة مأخوذة من النصّ الأوّل للمجمع البطريركيّ المارونيّ بعنوان: "**كنيسة الرجاء**"، وفقًا للخطّة الخمسيّة لتطبيق تعليم المجمع وتوصياته.

نأمل في أن تسهم التنشئة المسيحيّة في تهيئة عظة الأحد، وتثقيف أعضاء المنظّمات الرسوليّة وسائر المؤمنين، وتوجيه السهرات أو اللقاءات الانجيليّة. إنّ تثقيف الايمان لدى المؤمنين حاجة ماسّة في عالم اليوم، حيث الجهل الدينيّ متفشّ بسبب حالة العلمنة الروحيّة والخلقيّة والروح الاستهلاكيّة والمادّية.

نرجو أن تدخل التنشئة المسيحيّة إلى العائلة والمجتمع، وتصل إلى المسؤولين المدنيين لكي "**يتنشّط الجميع لاعلان إنجيل السلام**" (أفسس ٥/١٦).

† **بشاره الراعي**
مطران جبيل

أحد تقديس البيعة

الحوار ثقافة السلام

من إنجيل القدّيس متّى ١٦/١٣-٢٠

قال متّى الرسول: جاء يسوع إلى نواحي قيصريّة فيليبّس، فسأل تلاميذه قائلاً: «من يقول الناس إنّي أنا ابن الانسان؟». فقالوا: «بعضهم يقولون: يوحنّا المعمدان، وآخرون: إيليّا، وغيرهم: إرميا أو أحد الأنبياء». قال لهم: «وأنتم من تقولون إنّي أنا؟». فأجاب سمعان بطرس وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ». فأجاب يسوع وقال له: «طوبى لك يا سمعان بن يونا، لأنّه لا لَحَم ولا دَمَ أظهر لك ذلك، بل أبي الذي في السماوات. وأنا أيضًا أقول لك: أنت هو بطرس، أي الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني بيعتي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات». حينئذ أوصى تلاميذه ألاّ يقولوا لأحد إنّه هو المسيح.

***

تبدأ مع هذا الأحد الأوّل من تشرين الثاني **السنة الطقسيّة المارونيّة** مع عيد تقديس البيعة وتجديدها في الأحد الثاني. ثمّ تليهما البشارات وصولاً إلى ميلاد الربّ يسوع. يسمّى هذا القسم الأوّل من السنة الطقسيّة **زمن الميلاد المجيد** أو **زمن المجيء**.

في قيصريّة فيليبّس اعتلن سرّ الكنيسة، على أنّها كنيسة المسيح المبنيّة على صخرة الايمان به، "المسيح ابن اللّه الحيّ"، الصامدة بوجه قوى الشر، والحاملة سلطان الحلّ والربط، على المستوى اللاهوتيّ- التعليميّ، كما وعلى مستوى الولاية التشريعيّة والاجرائيّة والقضائيّة والاداريّة.

■ أوّلاً، السنة الطقسية والنص الانجيلي

١. السنة الطقسيّة وتقديس البيعة

تشمل **السنة الطقسيّة** ستّة أزمنة: الميلاد المجيد، الدنح أو الغطاس، الصوم الكبير، الآلام والموت والقيامة، العنصرة، الصليب. تسمّى **سنة** لأنّها تدوم ١٢ شهرًا، من أوّل أحد من تشرين الثاني حتّى آخر أحد من تشرين الأوّل؛ وتسمّى "**طقسيّة**" لأنّها ليتورجيّة، أي تدور حول سرّ المسيح، شمس العالم، لتستمدّ منه النور والحرارة والحياة لنفوس المؤمنين، كما تدور الأرض حول الشمس، في السنة الشمسيّة، وتأخذ منها نورها وحرارتها باعثي الحياة في كائناتها.

السنة الطقسيّة مجموعة محطّات مقسّمة على الآحاد والأسابيع التالية، وتتناول سرّ المسيح في مختلف أطوار حياته: التجسّد بدءًا من محطّاته الاعداديّة؛ حياته العلنيّة في الصوم وبشارة ملكوت اللّه؛ الفداء وسرّ الفصح بالموت على الصليب والقيامة؛ إرسال الروح القدس على الكنيسة الناشئة وانتشارها، وترقّب عودة المسيح بالمجد في نهاية الأزمنة.

تقديس البيعة إعلان ودعوة.

هو **الاعلان** أنّها مقدّسة بالحضور الالهيّ القدّوس فيها، حضور الآب الذي أرادها، والابن الذي قدّم ذاته ذبيحة لتقديسها، والروح القدس الحالّ

فيها ومحييها. في القدّيسين تتلألأ قداستها، وبخاصّة في مريم، سكنى الثالوث التي هي أيقونة الكنيسة الكليّة القداسة. ولئن تألّفت الكنيسة من خطأة، فهي "بدون خطيئة" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٨٦٧)، وتحمل إلى الخطأة وجميع الناس الخلاص بالمسيح. لقد شبّهها الربّ يسوع بالحقل المزروع فيه الزرع الجيّد، والنابت معه زؤان الخطيئة (متّى ١٣/٢٤-٣٠).

مع الليتورجيّا المارونيّة ننشد اليوم: "طوبى لكِ، أيّتها البيعة، لأنّ صوت الابن فيك يدوّي، وهو يكون لك حارسًا، فلا تتزعزع أساساتك. تبارك الذي ذُبح لأجلك، فوهبك جسده مأكلاً ودمه مشربًا ، غفرانًا لك ولأولادك".

وهو **دعوة** الى المسيحيين للدخول في سرّ الكنيسة الذي يقدّسهم. فالكنيسة هي "**الشركة التي تربط المؤمنين باللّه، وفي ما بينهم**". والشركة حركة ديناميّة ذات بعدين: **بُعد عاموديّ** يستمد منه المؤمنون القداسة من اللّه، **وبُعد أفقيّ** يعكسون به القداسة في القول والعمل والمسلك.

يعلّم المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني أنّ "الكنيسة هي في المسيح بمثابة السّر (sacramentum)، أي العلامة والاداة للاتحاد الصميم باللّه، ولوحدة الجنس البشريّ كلّه" (الدستور العقائديّ في الكنيسة، فقرة ١). ومعلوم أنّ مصير كلّ إنسان يتقرّر في الكنيسة التي فيها يتمّ سرّ اتحاده الشخصيّ بالثالوث الالهيّ وبسائر الناس. ويبدأ هذا الاتحاد في الايمان، ويتجّه إلى اكتماله في كنيسة السماء، بينما هو واقع ناشيء في كنيسة الأرض (مجمع عقيدة الايمان: في مفهوم الشركة، فقرة ٣).

ويلفت المجمع الفاتيكانيّ الثاني إلى "أنّ كنيسة الأرض وكنيسة السماء الغنيّة بالنعم، يجب ألاّ تُعدّا حقيقتين، بل حقيقة واحدة مؤلّفة من عنصرين

بشريّ وإلهيّ، مرتبطين أحدهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا" (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٨).

٢. حوار المسيح والكنيسة وثقافة الحوار

"ولمّا أتى يسوع نواحي قيصريّة فيليبّس سأل تلاميذه" (متّى ١٦/ ١٣).

يسوع يتّخذ المبادرة الأولى للحوار. فهو "الكلمة - اللّه الذي صار بشرًا وسكن بيننا" (يو ١/ ١٤)؛ وهو "الكلمة المتكلّمة إلى كلّ إنسان" (القدّيس برنردوس)، بها مباشرة حاور اللّه البشريّة: "بأنواع كثيرة وأشباه شتّى، كلّم اللّه منذ القديم آباءنا بالأنبياء. وفي هذه الأيّام الأخيرة **كلّمنا بابنه** الذي به خلق العالمين.فهو ضياء مجده وصورة جوهره" (عبر ١/ ١-٣).

كنيسة المسيح، التي تواصل رسالته، هي **كنيسة الحوار**، تستمدّه من أساسه العميق الذي هو حوار اللّه مع البشريّة. الديانة من طبعها علاقة حواريّة بين اللّه والانسان. والصلاة تعبير حواريّ لهذه العلاقة. باشر الوحي الالهيّ العلاقة مع البشريّة، بشكل حوار، حيث كلمة اللّه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس عبّر عن نفسه بالتجسّد وبكلمة الانجيل. وعندما انقطع الحوار بين اللّه والبشريّة بسبب الخطيئة، استعاده ابن اللّه بالتجسّد والفداء بالشكل الرائع. إنّ تاريخ الخلاص يسرد مراحل هذا الحوار الطويل والمتنوّع، القائم على محبّة اللّه لنا: "هو اللّه أحبّنا أوّلاً" (١ يو ٤/ ١٠). هذا الحوار أقامه اللّه الآب بواسطة الابن في الروح القدس (البابا بولس السادس: "كنيسته" (١٩٦٤، ٧٢-٧٤).

جرى حوار يسوع مع التلاميذ في نواحي **قيصريّة فيليبّس**. قد يكون يسوع اختار هذا المكان عمدًا لاهميّته. فهو يحمل اسم "**فيليبّس**" ابن الملك هيرودس الكبير، الذي أنشأ القيصريّة، واسم "**القيصر**" امبراطور روما،

فكانت "قيصريّة فيليبّس" التي تقع على المنحدر الجنوبيّ من جبل حرمون حيث ينبع نهر الأردن. كانت المحلّة تدعى كما اليوم بانياس لقربها من معبد "بان"، إله الجبال والرعاة. فيها أقيم هيكل من المرمر على اسم الامبراطور الرومانيّ، فوق المكان الذي ينبع منه الأردن، وسكّانها وثنيّون. وكانت تمارس في مغارتها عبادة جنسيّة، وتقدّم ذبائح الماعز، التي يمتزج دماؤها بالماء. وكانت المغارة ذات فوهة عظيمة، تعلوها سلسلة من الصخور الشاهقة.

هناك أعلن سمعانخ بطرس أنّ يسوع هو "**المسيح ابن اللّه الحيّ**"، الملك السماويّ، ملك الملوك، لا "القيصر"؛ وأنّه هو الاله الوحيد الحيّ، لا "بان" الصنم الميت. وهو الذي سبق وقدّس مياه الأردن بنزوله إليها يوم اعتماده من يوحنّا، لا دماء الماعز. وهناك أعلن يسوع سرّ الكنيسة الموكولة إليها رسالة خلاصيّة تشمل جميع شعوب الأرض، بدءًا من الوثنيين، ولا مجال لقوى الشرّ أن تقوى عليها.

بدأ الحوار بسؤال يسوع للتلاميذ عمّا يقول عنه الناس: "من يقول الناس إنّي أنا؟"، ثمّ عمّا يقولون هم: "وأنتم من تقولون أنّي أنا؟" **الحوار يحترم كلّ الآراء**، من أجل الوصول إلى الحقيقة الكاملة. قالوا له ما يقول الناس: "البعض يقول إنّك يوحنّا المعمدان، وآخرون إيليّا، وآخرون إرميا، أو أحد الأنبياء". هذا جواب البشر النابع من اعتقادهم، لكنّه خاطىء موضوعيًّا. كانت عقيدتهم التقمّص، التي تعتبر أنّ الرجال العظام لا ينتهون في التاريخ بموتهم، بل ينبغي أن يتقمّصوا.

لم يلق هذا الجواب ردّة فعل سلبيّة من يسوع: فلا تخوين، ولا رفض، ولا اتّهام. بل وجّه السؤال إليهم، هم الذين اختارهم وأقامهم معه. فكان

الجواب على لسان سمعان بن يونا: "أنت هو المسيح ابن اللّه الحيّ؟" هذا هو الجواب الصحيح: "طوبى لك يا سمعان". إنّه جواب الايمان الموحى من الآب الذي في السماء، لا الآتي من لحم ودم، من البشر ومعتقداتهم. يسوع المسيح يُعرف أوّلاً بالايمان، هذه الفضيلة الالهيّة المعطاة لكلّ إنسان. عندما نقول: "أنا أؤمن" يعني: أنا أعطي قلبي، ثقتي وحبّي، للّه الذي أؤمن به، للحقيقة التي تعلن. فاللفظة اللاتينيّة "credo" مؤلّفة من كلمتين: cor-do أي "أعطي قلبي".

إلى هؤلاء الناس الذين يعرفونه معرفة ناقصة بالتقمّص، وإلى الناس الذين لا يعرفون حتّى اللّه، كالوثنيين الممثّلين في أبناء منطقة قيصريّة فيليبّس، أرسل يسوع التلاميذ ليعلنوا البشارة. ولكن لا قبل آلامه وموته وقيامته: "ثمّ أوصاهم بألاّ يقولوا لأحد أنّه هو المسيح" (متّى ١٦ / ٢٠). ويضيف متّى في إنجيله: "ومذ ذاك بدأ يسوع يبيّن لتلاميذه أنّه مزمع أن يذهب إلى أورشليم، ويتألّم كثيرًا من الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم" (متّى ١٦ / ٢١).

فالمسيح يعرف فاديًا للانسان ومخلّصًا للعالم، لا إلهًا جبّارًا يسود على الخلق، ولا ملكًا ظافرًا يحطّم الأعداء. إنّ جوهر الألوهة خلق وفداء، رحمة وخلاص. وهذا ما ينبغي أن تتّصف به كلّ أبّوة وأمومة، بل كلّ سلطة وملوكيّة.

كانت **نتيجة هذا الحوار** دعوة سمعان بن يونا الذي بدّل يسوع اسمه إلى "بطرس" أي "الصخرة" Petros، بالأرامية Kifa وهو اسم غير مألوف؛ والاعلان عن تأسيس الكنيسة: إنّها جماعة المؤمنين، "رعيّة اللّه"، القائمة على "صخرة الايمان بالمسيح ابن اللّه الحيّ". إنّها مثل بيت، هو هيكل اللّه

الروحيّ، المبنيّ على الصخر، فلا تزعزعه قوى الشرّ والموت، ولا تقوى عليه ولا تستطيع هدمه، لأنّ الكنيسة هي "المسيح الكلّي": المسيح ابن اللّه وفادي البشر وجماعة المؤمنين به، الذين تغمرهم محبّة الآب وتحييهم قوّة الروح القدس. لقد تسلّم بطرس، رأس رعاة الكنيسة والأوّل بينهم، "**مفاتيح ملكوت السماء**"، مفاتيح الكنيسة - الشركة ببعديها العاموديّ والأفقيّ، "**ليحلّ ويربط**"، بسلطان التعليم والتقديس والرعاية، تشريعًا وتنفيذًا وقضاءً وإدارة. السلطان عينه تسلّمه الرسل من ربّنا (متى ١٨/١٨؛ ٢٨/١٦-٢٠)، وهم بدورهم سلّموه إلى خلفائهم، بابا روما خليفة بطرس والأساقفة، وهؤلاء يمارسونه بالتعاون مع الكهنة.

لكنّ الكنيسة، هذه الجماعة البشريّة المنظّمة، هي جماعة روحيّة، يسمّيها بطرس الرسول "بيت اللّه الروحيّ"، ويسمّي المؤمنين "حجارته الحيّة" (١ بطرس ٢/٤-٩). ويكمل بولس الرسول هذا التعليم بالقول إنّ الكنيسة هي: "بيت اللّه"، وأنّ أعضاءها "مبنيّون على أساس الرسل والأنبياء، وأنّ المسيح هو حجر الزاوية، به يشاد البناء كلّه، فيرتفع هيكلاً مقدّسًا بالربّ والمؤمنون يشادون لسكنى اللّه بالروح" (أفسس ٢/٢٠-٢٢).

يذكّرنا الارشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان" أنّ ميزة لبنان **الحوار** على مستويات ثلاثة: **حوار الحياة** الذي يوطّد النسيج الاجتماعيّ من خلال التواصل والتضامن والتعاضد في العمل وفي إحياء الحياة الاجتماعيّة والمدنيّة؛ **والحوار الدينيّ** الذي يعزّز القيم الروحيّة والخلقيّة والاجتماعيّة والثقافيّة لدى الأفراد وفي حياة الجماعة الوطنيّة؛ **وحوار العيش معًا** المعروف **بالحوار الوطنيّ** الذي يقوم على التربية على العيش معًا بالتنشئة في المدارس والمعاهد، وعلى التعارف بشكل أفضل، وقبول التنوّع والاختلاف، وعلى تكثيف التعاون في المجالات الممكنة من أجل الخير

العامّ (فقرة ٩٠-٩٢). ويقوم الحوار الوطنيّ خاصّة على حسن المشاركة السياسيّة في بناء الدولة والوطن، على أساس من التوازن والانصاف والثقة المتبادلة.

٣. الكنيسة وثقافة السلام

في قيصريّة فيليبّس أعلن سمعان بطرس أنّ يسوع هو "**المسيح ابن اللّه الحيّ**"، وبكلام آخر أنّه حضور اللّه وسط العالم بكلّ خيراته وبركاته الروحيّة والماديّة التي يغدقها على البشريّة والعالم، وتختصر بكلمة "سلام"، كما تعني لفظة "شالوم" العبريّة. إنّ أوّل مذبح للّه في تاريخ الخلاص ابتناه جدعون وسمّاه "سلام الربّ" (قضاة ٦/ ٢٤)، ما يعني أنّ السلام لقب جوهريّ من ألقاب اللّه، وقد تجلّى ذلك في نظام الخلق الجميل والمنسجم الذي رآه اللّه الخالق "حسنًا" يومًا بعد يوم (تكوين ١/ ٤ ٢٥،٢١،١٨،١٢،١٠،)، وعندما انتهى من كلّ الخلق، رأى اللّه جميع ما صنعه فإذا هو حسن جدًّا (تك ١/ ٣١).

السلام بمفهومه البيبليّ **مشروع بشريّ** موكول من اللّه للبشر بغية إنجازه وفقًا للتصميم الالهيّ، وبالتالي هو عطيّة اللّه للانسان. السلام من هذا المنطلق يقوم على العلاقة الأصليّة بين الكائن البشريّ واللّه، وهي علاقة استقامة، كما أوحاها اللّه لأبرام: "أنا اللّه القدير، أسلك أمامي وكن كاملاً" (تك ١٧/ ١).

إنّ أوّل انتهاك لمشروع السلام كان في مخالفة نظام الخلق الالهيّ بخطيئة الانسان الأوّل: فكان الخلل بين الزوج والزوجة، وامتدّت بينهما أصابع الاتّهام (تك ٣/ ١٢)، وكانت اللعنة على الأرض ومشقّة الانسان وطرده من الجنّة (تك ١٠/ ١٧-٢٤). وكانت أوّل جريمة قتل بين أخ وأخيه حسدًا، فكانت اللعنة على القاتل وشرّدته على وجه الأرض (تك ٤/ ١-١٤). وهكذا

دخل العنف وشوّه العلاقات الشخصيّة بدءًا من العائلة، وشوّه العلاقات الاجتماعيّة كما جرى في برج بابل (تك ١١/١-٩).

لا يستطيع السلام والعنف أن يعيشا تحت سقف واحد. وحيث العنف لا يمكن أن يكون اللّه هناك. ولذا، لم يسمح اللّه لداود ببناء بيت للربّ، لأنّ يده ملطّخة بالدماء، بل يبنيه ابنه سليمان، رجل السلام (أخبار ٢٢/٨-١٠).

المسيح "أمير السلام" (أشعيا ٩/٥)، بتأسيسه الكنيسة التي لن تقوى عليها قوى الشر، فيما تعلن إيمانها "بالمسيح ابن اللّه الحيّ"، وتتولّى سلطان الحلّ والربط، إنّما أسند إليها مهمّة تعزيز السلام في العالم. وقد جعل هذه المهمّة جزءًا أساسيًّا من رسالتها التي تواصل بها عمل فداء المسيح على الأرض.

لقد أعلن خادم اللّه البابا يوحنّا بولس الثاني أنّ "الكنيسة في المسيح سرّ (sacramantum)، أي علامة وأداة السلام في العالم ومن أجل العالم" (النداء بمناسبة اليوم العالميّ للسلام ٢٠٠٠، فقرة ٢٠).

وهكذا راحت الكنيسة تعمل على نشر ثقافة السلام وعلى تعزيزه بين الأمم والشعوب، وما زالت تغني المجتمع بتعليمها حول السلام في رسائل البابوات العامّة بشأن العقيدة الاجتماعيّة، وفي نداءاتهم السنويّة بمناسبة اليوم العالميّ للسلام في اليوم الأوّل من كلّ سنة.

■ ثانيًا، وجوه عاشت إنجيل الحوار والسلام

تعيّد الكنيسة في الأسبوع السابق لأحد تقديس البيعة تذكار قدّيسين عاشوا إنجيل الحوار والسلام.

عيد جميع القدّيسين (أوّل تشرين الثاني)

استعدادًا للاحتفال بتقديس البيعة، تستشفع كنيسة الأرض المجاهدة القدّيسين في كنيسة السماء الممجّدة. هؤلاء هم الرسل والشهداء والمعترفون والعذارى والأبرار الذين عاشوا شريعة إنجيل الحوار والسلام مع اللّه والخلق أجمع. وقد جاهدوا الجهاد الحسن وانتصروا على التجارب وفازوا باكليل المجد الأبديّ. إنّهم شفعاؤنا لدى اللّه، وعون لنا في الشدائد والمحن، ومثال لنقتدي بفضائلهم ونسير على خطاهم في إعلان إنجيل الحوار والسلام. إنّنا بتكريمنا إيّاهم نقدّم المجد والشكر للّه الذي قوّاهم بنعمته، وأهّلهم إلى السعادة الخالدة ورفعهم منارة للشعوب.

يلي في اليوم التالي **تذكار الموتى المؤمنين** الذين يشكّلون كنيسة المطهر، ومن أجل هذه تصلّي كنيسة الأرض مستشفعة كنيسة السماء. هذا ما يسمّى **بشركة القدّيسين** الذين يؤلّفون كلّهم جسد يسوع المسيح الواحد، كنيسته الواحدة في مراحلها الثلاث: الأرض والمطهر والسماء. إنّ اتّحاد كنيسة الأرض بكنيسة السماء يتمّ بأوثق وجه في الليتورجيّا، عندما نحتفل مع جميع الملائكة والقدّيسين بتسبيح مجد اللّه وعمله الخلاصيّ (الدستور المجمعيّ في الليتورجيّا، ١٠٤؛ والدستور العقائديّ في الكنيسة، ٥٠-٥١).

عيد القدّيس جرجس الشهيد (٣ تشرين الثاني)

جرت العادة أن تحتفل بعض الرعايا بعيد القدّيس جرجس الشهيد في ٣ تشرين الثاني وفي ٢٣ نيسان. إنّه من مواليد اللّد بفلسطين سنة ٢٨٠ من أسرة مسيحيّة شريفة. مات شهيد إنجيل الحقيقة وسلامها، إذ حارب تنّين الوثنيّة، وخلّص الكنيسة من أضاليله. إنّه شفيع الكنيسة المجاهدة في سبيل إحلال ملكوت الحقيقة والسلام.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

الكنيسة علامة وأداة الحوار والسلام. **فالحوار** بدأه اللّه مع البشريّة بأنواع شتّى منذ القديم، وأكمله بابنه الوحيد يسوع المسيح (أنظر عبرانيين ١/١-٢). **والسلام** هو اللّه الذي منه كلّ عطيّة صالحة، فقطعه عهدًا مع البشريّة، وأضحى واقعًا في حياتنا هو "المسيح أمير السلام". ولأنّ الكنيسة خادمة السلام، فهي **كنيسة الرجاء**.

تعتمد الخطّة الراعويّة في زمن الميلاد النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، بعنوان: "**كنيسة الرجاء**"، وفقًا للخطّة الخمسيّة التي وضعتها لجنة المتابعة.

تتدارس الجماعات الرعائيّة هذا النصّ، أسبوعًا بعد أسبوع، **في محطّاته الثلاث:** مفهوم الرجاء في النصوص الليتورجيّة وبخاصّة في صلاة الفرض الالهيّ، وهواجسه في الواقع الراهن، وآفاقه المستقبليّة. وهي محطّات تختصّ بالجذور (الماضي)، والواقع الراهن (الحاضر)، والانطلاقة الجديدة (المستقبل)، وتشكّل مسار جميع النصوص المجمعيّة في الملفّات الثلاثة. فكان عنوان الملفّ الأوّل: "هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها" (الماضي)، وعنوان الثاني: "التجدّد الراعويّ والروحيّ في هيكليّات الكنيسة المارونيّة" (الحاضر)، وعنوان الثالث: "الكنيسة المارونيّة وعالم اليوم" (المستقبل).

جاء النصّ الأوّل "**كنيسة الرجاء**" بمثابة الروح لكلّ النصوص وللمسيرة المجمعيّة بأكملها، ذلك أنّ الكنيسة بطبيعتها مشدودة إلى الأمام، إلى اكتمال الملكوت الذي دشّنه السيّد المسيح ودعا إلى بنائه في العالم بثبات وثقة بالربّ وبمواعيده، فالمسيح هو رجاؤنا (الفقرة ١ و٢).

بقوّة هذا الرجاء نلتزم معًا في نشر ثقافة السلام وفي بنائه على قاعدة الحقيقة والعدالة، بوجه "ثقافة" الحرب، المتنكّرة لكلّ ما هو حقّ وعدل.

***

صلاة

في المسيرة المجمعيّة نصلّي لكي نتشارك جميعًا فيها:

"**أيّها الربّ يسوع**، يا من ترافقنا في مسيرتنا المجمعيّة. بارك كنيستنا المارونيّة. وأرسل إلينا روحك القدّوس، ليحلّ في القلب وينير العقول، فنصغي إلى إلهاماته ونعمل بإرشاداته، ونتقبّل تعاليم المجمع البطريركيّ، ونجتهد في تطبيقها، ونعمل على عيشها ونشرها شهادة لإنجيلك وخدمة لملكوتك، لك المجد إلى الأبد، آمين. (الصلاة المجمعيّة).

الأحد ١٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦

أحد تجديد البيعة

يسوع المسيح المخلّص الوحيد وأمير السلام

من إنجيل القدّيس يوحنّا ١٠/٢٢-٤٢

قال يوحنّا الرسول: حان عيد التجديد في ؟أورشليم، وكان فصل الشتاء. وكان يسوع يتمشّى في الهيكل، في رواق سليمان. فأحاط به اليهود وأخذوا يقولون له: «إلى متى تبقى نفوسنا حائرة؟ إن كنت أنت المسيح، فقله لنا صراحة». أجابهم يسوع: «قلته لكم، لكنّكم لا تؤمنون. الأعمال التي أعملها أنا باسم ابي هي تشهد لي. لكنكم لا تؤمنون، لأنّكم لستم من خرافي. خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها، وهي تتبعني. وأنا أعطيها حياة أبديّة، فلن تهلك أبدًا ، ولن يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إيّاها هو أعظم من الكلّ، ولا يقدر أحد أن يخطفها من يد الآب. أنا والآب واحد». فأخذ اليهود من جديد حجارة ليرجموه. قال لهم يسوع: «أعمالاً حسنة كثيرة أريتكم من عند الآب، فلأيّ عمل منها ترجموني؟». أجابه اليهود: «لا لعمل حسن نرجمك، بل لتجديف. لأنّك، وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهًا». أجابهم يسوع: «أما كتب في توراتكم: أنا قلت إنّكم آلهة؟ فاذا كانت التوراة تدعو آلهة أولئك الذين صارت إليهم كلمة اللّه، ولا يمكن أن ينقض الكتاب، فكيف تقولون لي، أنا الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم: أنت تجدّف؛ لأنّي قلت: أنا ابن اللّه؟ أن كنت لا أعمل أعمال أبي، فلا تصدّقوني، أمّا إذا كنت أعملها، وإن كنتم لا تصدّقوني، فصدّقوا هذه الأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أنّ الآب فيّ وأنّي في الآب». فحاولوا من جديد أن يقبضوا عليه، فأفلت من يدهم. وعاد يسوع إلى عبر الأردن، إلى حيث كان يوحنّا يُعمد

من قبل، فأقام هناك. وأتى إليه كثيرون وكانوا يقولون: «لم يصنع يوحنّا أي آية، ولكن، كلّ ما قاله في هذا الرجل كان حقًا». فآمن به هناك كثيرون.

***

يسوع المسيح موضوع إيمان لا جدال. في هذا الأحد الثاني من بداية السنة الطقسيّة الجديدة، الكنيسة تجدّد إيمانها بيسوع المسيح وتعلنه للعالم فاديًا وحيدًا، ومخلصًا وحيدًا للجنس البشريّ. وفيما اليهود يجادلونه ويماحكونه ويحاولون بشتّى الطرق إلغاءه، يعلن عن حقيقة نفسه أنّه المسيح: راعي الخراف، وابن اللّه المرسل من الآب إلى العالم، ليقود الناس إلى اللّه.

■ أوّلاً، مضامين النصّ الانجيليّ

١. الكنيسة تجدّد إيمانها بالمسيح الاله- الانسان

في بداية السنة الطقسيّة تجدّد الكنيسة، بأبنائها ومؤسّساتها، إيمانها بالمسيح "شمس" العالم الذي يدور حوله العالم مثل الأرض حول الشمس، أحدًا بعد أحد وأسبوعًا بعد أسبوع، ليستمدّ منه نور الكلمة وحياة النعمة وحرارة المحبّة.

تجديد البيعة يعني إعلان جديد لسرّ المسيح، معروف في اليونانيّة واللاتينيّة بلفظة Kerygma، الذي ينكشف فيه سرّ اللّه الواحد في الطبيعة والمثلّث الأقانيم: الآب الخالق مصدر المحبّة الشاملة لجميع البشر، والابن الفادي مصدر النعمة التي تفتدي وتخلّص كلّ إنسان، والروح القدس المحيي مصدر الحياة الالهيّة في الانسان. في ضوء سرّ المسيح تعلن الكنيسة سرّ الانسان المخلوق على صورة اللّه، والمفتدى بدم المسيح،

والصائر هيكل الروح القدس، والمدعوّ ليكون شريك اللّه في صنع التاريخ، وبالتالي صاحب كرامة وقدسيّة ومصير نهيويّ خالد.

يعني **تجديد البيعة** أيضًا التعمّق اللاهوتيّ في إيماننا المسيحيّ، لكي نتمكّن من تقديمه للانسان المعاصر، في أيّ حالة كان، أفي المدينة التي تبهره بتكنوليوجيّتها، أو تحجّمه في ضخامتها، أو تحجبه في ضاحيتها، أم في الريف الذي يقدّم له البساطة والقناعة أو يحدّ من تطلّعاته وآماله أو يزيده شوقًا إلى الهجرة نحو آفاق جديدة. تتعمّق الكنيسة في إيمانها لتعلنه للفقير والغنيّ، لصاحب السلطة وللمواطنين، للمريض والمعاق والعجوز، كما وللطفل والشاب، للسجين والمعتقل. **إنّها ترفق إعلان الايمان** بالحوار الصادق وشهادة المحبّة. وتجسّده في الواقع بتعزيز ثقافة السلام من خلال التضامن الفعّال تجاه الفقراء والمتألّمين، والتعاون في تأمين حياة لائقة لجميع الناس والشعوب.

"إلى متى تريب نفوسنا؟ فأنْ كنت أنت المسيح، فقله لنا علانية" (يو ١٠/ ٢٤).

هذا السؤال الذي طرحه اليهود على يسوع، يُطرح كلّ يوم. فالانسان يبحث عن خلاصه الروحيّ والماديّ، الثقافيّ والاجتماعيّ، السياسيّ والاقتصاديّ. أمّا المخلّص الوحيد فهو يسوع المسيح "ابن اللّه الذي تجسّد من أجلنا ومن أجل خلاصنا وافتدانا بآلامه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء"، كما نعلن في قانون الايمان، وهو **"الذي قدّسه اللّه وأرسله إلى العالم"** (يو ١٠/ ٣٦).

بدأ المسيح خلاص العالم، **ويواصل** هذا الخلاص بكلّ أبعاده من خلال

الكنيسة "أداة الخلاص الشامل" (القرار في نشاط الكنيسة الارساليّ، ١)، ومن خلال الارادات الطيّبة التي تنفتح للكلمة الالهيّة ولعمل الروح القدس.

الانسان لا يصنع الخلاص، بل يساهم ويعاون فيه. الخلاص هو من اللّه وحده، بنعمة المسيح وقوّة الروح القدس. كلّ إنسان مدعوّ، بحكم موقعه وحالته ومسؤوليّته، ليشارك في عمل الخلاص النابع من سرّ المسيح، مهما حاول الأعداء صدّه، كما فعل اليهود مع يسوع: "أخذوا حجارة ليرجموه"، واتّهموه بالتجديف: "نرجمك بسبب التجديف، لأنّك، وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهًا"، و"حاولوا مرّة ثانية أن يعتقلوه" (يو ١٠/٣٠ و٣٣ و٣٩).

بالحقيقة **يسوع هو إنسان** حقيقيّ مثلنا. إنسان بجسد ونفس، شبيه بنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة، بخلاف سائر الناس جميعًا، كما نقول في نافور القدّاس: "واحد ظهر على الأرض بدون خطيئة هو ربّنا وإلهنا يسوع المسيح". لم يكن تحت ناموس الخطيئة، بل كان منفتحًا في كلّ كيانه على إرادة الآب وعلى خدمة الناس. وقد قال عن نفسه إنّه "لم يأت ليُخدم بل ليَخدم" (مر ١٠/٤٥). **إنّه الانسان من أجل سائر الناس** الذي، بطاعته للآب، بذل حياته عن الكثيرين.

لكنّ يسوع **هو إله حقّ**، ابن اللّه الذي تجسّد، آخذًا لحمًا ودمًا بشريين، ليفتدينا ببشريّته، ويفتدي بشريّتنا. فاللّه، في يسوع المسيح، اتّخذ كلّ ما هو بشريّ وقدّسه. ليس الخلاص خلاصًا روحيًّا للنفس وحسب، بل يهدف إلى خلاص الانسان في كلّ كيانه. هذا ما نعلنه في نافور القدّاس: "وحّدت يا ربّ لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتك بموتنا وموتنا بحياتك، أخذت ما لنا وأعطيتنا ما لك، لتحيينا وتخلّصنا، لك المجد إلى الأبد". وبذلك تتمّ الكلمة المكتوبة: "أنا قلت أنّكم آلهة" (يو١٠/٣٤).

كما انكر اليهود الوهة يسوع، كذلك **انكر آخرون بشريته** بالمقابل. فقامت اضاليل، وما زالت الى اليوم، تعلن ان يسوع لم يكن له سوى جسد في الظاهر، وأنه لم يتألم إلاّ في الظاهر. اذاك تتحول كل الحقائق في المسيحية الى امور ظاهرية (المسيحية في عقائدها، سنة ١٩٨٨، ص ١٧٨-١٧٩).

إذا كان باستطاعة يسوع المسيح أن يفتدينا، فما ذلك إلاّ لأنّه ليس إلهًا حقًّا وحسب، بل لأنّه أيضًا إنسان حقيقيّ (المرجع نفسه، صفحة ١٨٠).

٢. يسوع راعي النفوس

"خرافي تعرفني وتسمع صوتي وتتبعني، وأنا أعطيها الحياة الأبديّة، فلا تهلك أبدًا" (يو ١٠/٢٧-٢٨).

بهذه الصورة يكشف يسوع عن جوهر "مسيحانيّته". فالمسيح هو "**راعي شعب اللّه**"، بالمفهوم الذي سبق ووصفه في إنجيل يوحنّا (١٠/١-١٦): إنّه يبذل نفسه من أجل جميع الناس، خلافًا عن الأجير الذي يترك الخراف عندما يرى الذئب مقبلاً؛ إنّه يعرف الخراف، والخراف تعرفه، فهو في علاقة شخصيّة مع كلّ إنسان، علاقة معرفة وحبّ وبذل ذات؛ إنّه يعطي الخراف الحياة، ويعطيها وافرة، فيما السارق، الذي يدخل الحظيرة، لا من بابها بل يتسلّق من مكان آخر، إنّما يأتي ليسرق ويقتل ويبدّد. إنّه "الراعي الصالح" المرسل من الآب إلى خرافه، كما وعد على لسان حزقيال النبيّ: "وأقيم على خرافي راعيًا، فيسكنون آمنين" (حز ٣٤/٢٣ و٢٥).

يسوع الراعي الصالح **قدوة لكلّ مسؤول في الكنيسة والمجتمع**. فالشعب، هو "شعب اللّه"، ولا يحقّ لأيّ مسؤول روحيّ أو زمنيّ، أن يتعاطى مع الشعب، الذي أقيم من أجله للخير العامّ، بمعزل عن إرادة اللّه ومقاصده. اللّه هو الراعي لشعبه، على ما يقول أشعيا النبيّ: هوذا السيّد

الربّ يرعى قطيعه كالراعي، يجمع الخراف بذراعه، ويحملها في حضنه، ويسوق المرضعات رويدًا" (اش ٤٠/١١). واللّه يكل رعاية شعبه إلى المسؤولين، في الكنيسة والمجتمع، كما نبّه يسوع بيلاطس. فلمّا قال له هذا الأخير: "أفلست تعلم أنّ لي سلطانًا على أن أخلي سبيلك، وسلطانًا على أن اصلبك؟"، أجاب يسوع: "لو لم تعطَ السلطان من علُ، لما كان لك عليّ من سلطان" (يو ١٩/١٠-١١). لكنّ كثيرين من المسؤولين أساؤوا الأمانة، فندّد اللّه بهم على لسان إرميا: "لقد فقد الرعاة حسّهم، ولم يلتمسوا الربّ، فتشتّتت رعيّتهم" (١٠/١٢)، وعلى لسان حزقيال: "إنّهم يرعون نفوسهم لا الخراف، ويتسلّطون عليها بقسوة وقهر، فأصبحت مشتّتة من غير راعٍ، وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقول، وتاهت في الجبال وعلى التلال" (حز ٣٤/٢-٥).

٣. ثقافة السلام

"حاولوا أن يمسكوا يسوع، فخرج من بينهم ومضى" (يو ١٠/٣٩).

يسوع ملك السلام علّم تلاميذه، ويعلّمنا: "أيّ بيت دخلتموه، فقولوا أوّلاً السلام لهذا البيت. إن كان هناك ابن سلام يستقرّ سلامكم عليه، وإلاّ يرتدّ إليكم" (لو ١٠/٥-٦). هذا ما فعله مع اليهود عندما رفضوا سلامه، وحاولوا أن يلقوا عليه الأيدي، فتوارى من بينهم، من دون مواجهة ومماحكة وسجالات. لقد رفضوا حقيقة اللّه الظاهرة في شخص المسيح وأعماله.

ندرك من هذا الحديث أنّ **سلام المسيح** هو قبل كلّ شيء مصالحة مع الآب، ثمّ مصالحة مع الاخوة. فقد علّمنا في صلاة الأبانا، أنّ جمع الغفران المطلوب من اللّه إلى غفراننا لاخوتنا: "إغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا" (متّى ٦/١٢). بهذه المصالحة المزدوجة، يصبح الانسان فاعل

سلام وشريكًا في ملكوت اللّه، حسب وعد المسيح في إنجيل التطويبات، دستور الحياة المسيحيّة: "طوبى لفاعلي السلام، فإنّهم أبناء اللّه يدعون" (متّى ٥/ ٩).

المسيح الفادي والراعي الصالح هو "سلامنا" (افسس ٢/ ١٤) الذي يجمع الأبعدين والأقربين. إلى **"ثقافة السلام"** هذه التي تجمع ولا تبدّد دعانا لننتمي: "من ليس معي فهو عليّ، ومن لا يجمع معي فهو يفرّق" (متّى ١٢/ ٣٠). بهذا يُعرف المسؤول إذا كان يعمل للخير العام الذي منه خير الجميع، أم يعمل بروح التفرقة والفئوية والعدائيّة لمصالحه الخاصّة ونزواته. يسألون: "الكنيسة مع من؟" بينما يجب طرح السؤال: "من هو مع الكنيسة؟"

ولئن فشل حوار يسوع مع اليهود، بسبب رفض هؤلاء، للحقيقة، فإنّنا **نؤمن دائمًا بجدوى الحوار**، والكنيسة تدعو إليه بالحاح وبدون تردّد، فلا بدّ "للرحمة والحقّ أن يتلاقيا، وللعدالة والسلام أن يتعانقا" (مز ٨٥/ ١١)، "فالربّ يتكلّم بالاسلام لشعبه" (مز ٨٥/ ٩).

■ ثانيًا، وجوه آمنت بحقيقة اللّه والمسيح

تعيد الكنيسة في هذا الأسبوع تذكار قدّيسين آمنوا بحقيقة اللّه والمسيح، وسلكوا في نور هذه الحقيقة.

القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة (٨ تشرين الثاني)

هو رئيس الملائكة الذي رآه يوحنّا الرسول في رؤياه في قتال مع التنين - الشيطان وجنوده حتى انتصر عليهم وطردهم من السماء، فصار اسمه "ميخائيل" أي "مَن مثلُ اللّه!" (رؤيا ١٢/ ٧)، يسمّيه دانيال النبيّ "الرئيس العظيم" (دانيال ١٢/ ١).

ظهر الملاك ميخائيل محاميًا وناصرًا لشعب اللّه في العهد القديم، وليسوع ورسله في العهد الجديد، وهو ما يزال ناصرًا للكنيسة في جهادها من أجل نشر إنجيل الحقيقة والعدالة والسلام.

القدّيس مينا المصريّ الشهيد (١١ تنشرين الثاني)

من مواليد الاسكندريّة في القرن الثالث، تكلّل بإكليل الشهادة بقطع رأسه سنة ٣٠٣. ولد في عائلة مسيحيّة وانخرط في الجنديّة. ثمّ تركها ليتجنّد ليسوع المسيح منفردًا في البريّة للصوم والصلاة والتقشّف. قاسى الاضطهاد بسبب إيمانه، وثبت فيه بالرّغم من مرّ العذابات التي أنزلها به الوالي الرومانيّ الوثنيّ، وهو يردّد: "حياتي هي للمسيح ربّي، وكلّ مجدي وسعادتي به وحده".

ورفعت الكنيسة على المذابح **مسؤولين سياسيين معاصرين** شهدوا لحقيقة المسيح وطبعوا بقيم الانجيل الشؤون الزمنيّة، نذكر منهم:

الطوباويّ الملك شارل النمساويّ Charles d'Autride (١٨٨٠– ١٩٢٢)

هو آخر امبراطور وملك على النمسا. أعلنه البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويًّا في ٣ تشرين الأوّل ٢٠٠٤. إنّه ملك وربّ عائلة أراد أن يضع ذاته في خدمة إرادة اللّه، فكان الايمان باللّه المقياس لمسؤوليّاته والموجّه لحياته.

القدّيس بيار- جورجيو فراساتي Piergiorgo Frassati **(١٩٠١–١٩٢٥)**

هو مهندس ومسيحيّ ملتزم ورجل سياسة مناضل. أعلنه البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويًّا في ٢٠ أيّار ١٩٩٠. والده عضو في مجلس شيوخ إيطاليا ومؤسّس جريدة لاستامبا (La Stampa) وسفير لبلاده في برلين. منذ عمر ١٣ سنة بدأ بيار- جورجيو (piergiorgio) يتناول القربان يوميًّا ، وراح

مدى حياته يجد غذاءه اليوميّ في قراءة الانجيل وفي الافخارستيّا. فجمع بين الصلاة والعمل. انتسب إلى الحزب الشعبيّ الايطاليّ وأصبح فيه مناضلاً، وكرّس أوقاته الحرّة لخدمة البؤساء والفقراء، كعضو في جمعيّة مار منصور دي بول. مات بعمر ٢٤ سنة. رسالته هي نداء إلى توطيد العلاقة بين الايمان والأعمال على جميع المستويات، وإلى إعلان الحقيقة والدفاع عنها.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تتناول الخطّة الراعويّة النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: "**كنيسة الرجاء**"، والذي يكشف للجماعات الراعويّة أربعة آفاق تشكّل محور التفكير معًا وشدّ أواصر الرجاء الشاهد في أربع نقاط:

١. المسيح هو الرجاء

هو الرجاء الوحيد للمؤمنين، لأنّه مخلّص العالم ولا يخيّب المتّكلين عليه؛ ولأنّه بأوصافه: النور والقيامة والحياة، وبأعماله ودعواته للاتكال عليه، يشجّع المؤمنين ليضعوا فيه رجاءهم ومتّكلهم؛ ولأنّ مآثر اللّه في العهد القديم ومبادرات الربّ يسوع في الجديد تحمل على التماس تدخّله في ظروف الحياة الدقيقة؛ ولأنّه باستجابته طلبات الكثيرين يعطي الضمانة باستجابة من يلجأون إليه الآن (فقرة ٥).

٢. مرتكزات الرجاء

هي وعود الربّ يسوع في إنجيل التطويبات (متّى ٥/١-٩)، وحفظ الوصايا، فيصبح الرجاء اشتهاء للملكوت السماويّ، وضمانة لنيل الحياة الأبديّة. ما يساعدنا على مواجهة الصعوبات الداخليّة والخارجيّة، من مثل

الاهتمام المفرط بأمور الدنيا ومغرياتها، والمضايق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والمعيشيّة، والأمراض والآلام والفقر والفشل (فقرة ٦).

٣. رجاء الشهداء والأموات

وضع الشهداء رجاءهم في المسيح فصمدوا في الايمان، ولم يتراجعوا أمام العذابات، وقبلوا الموت بشجاعة، مدركين أنّ دماءهم بذور المسيحيين. ولقد وطّد المؤمنون رجاء موتاهم في قيامة المسيح ورافقوهم بهذه الصلاة: "سلام معكم أيّها الأموات الذين رقدوا بالمسيح بالرجاء الوطيد. فلا يحزنكم فساد جمال وجوهكم، لأنّه سيتجدّد وترثون الملكوت" (فقرة ٧-٨).

٤. شموليّة الرجاء

الرجاء يشمل في الصلاة كلّ أبناء الكنيسة وقدّيسيها مع انفتاح اسكاتولوجي على الجموع السماويّة في بيعة أورشليم العليا. هذه الشموليّة رسّخت الايمان في الموارنة، بالرّغم من كلّ الشدائد والمحن، فلم يتزعزعوا في رجائهم بالمسيح ومحبّتهم له (فقرات ٩-١٢).

***

صلاة

أيّها الآب القدّوس، أبا الأنوار، يا من تغمرنا بعنايتك الأبويّة، نشكرك على محبّتك اللامتناهية، إذ خلقتنا على صورتك ومثالك، وجدّدتنا بالعماد فصيّرتنا أبناء لك وإخوة لابنك ربّنا يسوع، وهياكل لروحك القدوس. لك المجد والشكر مع الآب والابن إلى الأبد. (صلاة المجمع).

بشارة زكريّا

الانسان معاون اللّه في تحقيق تصميم الخلاص والسلام

من القدّيس لوقا ١/٥-٢٥

كان في أيّام هيرودس، ملك اليهوديّة، كاهن اسمه زكريّا، من فرقة آبيا، له امرأة من بنات هارون اسمها أليصابات. وكانا كلاهما بارّين أمام اللّه، سالكين في جميع وصايا الربّ وأحكامه بلا لوم. وما كان لهما ولد، لأنّ أليصابات كانت عاقرًا، وكانا كلاهما قد طعنا في أيّامهما. وفيما كان زكريّا يقوم بالخدمة الكهنوتيّة أمام اللّه، في أثناء نوبة فرقته، أصابته القرعة، بحسب عادة الكهنوت، ليدخل مقدس هيكل الربّ ويحرق البخور. وكان كلّ جمهور الشعب يصلّي في الخارج، في أثناء إحراق البخور. وتراءى ملاك الربّ لزكريّا واقفًا من عن يمين مذبح البخور، فأضطرب زكريّا حين رآه، واستولى عليه الخوف. فقال له الملاك: «لا تخف، يا زكريّا، فقد استجيبت طلبتك، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنًا ، فسمّه يوحنّا. ويكون لك فرح وابتهاج، ويفرح بمولده كثيرون، لأنّه سيكون عظيمًا في نظر الربّ، ولا يشرب خمرًا ولا مسكرًا، ويمتلىء من الروح القدس وهو بعد في حشا أمّه. ويردّ كثيرين من بني اسرائيل إلى الربّ إلههم. ويسير أمام الربّ بروح ايليّا وقوّته، ليردّ قلوب الآباء إلى الابناء، والعصاة الى حكمة الأبرار، فيهيّىء للربّ شعبًا معدًّا خير إعداده». فقال زكريّا للملاك: «بماذا أعرف هذا؟ فإنّي شيخ، وامرأتي قد طعنت في أيّامها». فأجاب الملاك وقال له: «أنا هو جبرائيل الواقف في حضرة اللّه، وقد أرسلت لأكلّمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتًا، لا تقدر أن تتكلّم، حتّى اليوم الذي يحدث فيه ذلك، لأنّك لم تؤمن بكلامي الذي سيتمّ في أوانه». وكان الشعب ينتظر

زكريّا، ويتعجّب من إبطائه في مقدس الهيكل. ولمّا خرج زكريّا، لم يكن قادرًا أن يتكلّم، فأدركوا أنّه رأى رؤيا في المقدس، وكان يشير إليهم بالاشارة، وبقي أبكم. ولمّا تمّت أيّام خدمته، مضى إلى بيته. بعد تلك الأيّام، حملت امرأته أليصابات، وكتمت أمرها خمسة أشهر، وهي تقول: «هكذا صنع الربّ إليّ، في الأيّام التي نظر إليّ فيها، ليزيل العار عنّي من بين الناس».

***

مع بشارة الملاك لزكريّا بمولد يوحنّا تنتهي مرحلة الوعد في العهد القديم بمجيء المسيح مخلّص العالم، وتبدأ مرحلة الاعداد المباشر في العهد الجديد. فالخلق والخلاص متلازمان، وهما عهد قطعه له، فخلق العالم ليشرك البشر في حياته الالهيّة. وعندما نقض الانسان هذا العهد بالخطيئة، صمّم اللّه ترميم الخلق بالفداء. فكان الوعد، وانطلقت منذ البداية عمليّة الاعداد. إنّ كتب العهد القديم تشهد للأسلوب التربويّ الذي اعتمده حبّ اللّه الخلاصيّ. في هذه الكتب المقدّسة الستة والأربعين، بما فيها من تعاليم سامية عن اللّه، وحكمة حول الحياة البشريّة، وينابيع صلاة رائعة، وبما فيها من ناقص ومؤقت، يختبىء سرّ خلاصنا (دستور الوحي الالهيّ، ١).

دامت التهيئة البعيدة لمجيء ابن اللّه، مخلّص العالم وفادي الانسان، أجيالاً ودهورًا، توالت فيها طقوس وذبائح، وجوه ورموز، موجّهة كلّها إلى شخص المسيح، الذي أعلنه الآب بفم الأنبياء، بدءًا بإيليا ووصولاً إلى يوحنّا السابق، خاتمة العهد القديم وآخر أنبيائه. كلّ هذه المسيرة عبر الأجيال تشكّل القسم الأوّل من تصميم الخلاص الذي هو عمل اللّه الواحد والثالوث. أمّا الانسان، موضوع الخلاص، فهو معاون اللّه في تحقيقه،

ببعدين: البعد الشخصيّ بالانفتاح على عمل الخلاص والتجاوب معه، والبعد الجَماعيّ بالالتزام في عمليّة خلاص الآخرين.

إنجيل اليوم يلقي الضوء على رموز العهد القديم وعلى مضمون العهد الجديد، وهو بمثابة الجسر بينهما.

■ أوّلاً، الانسان معاون اللّه في تحقيق تصميم الخلاص

١. زكريّا وأليصابات

زكريّا كاهن من فرقة آبيا الكهنوتيّة المتحدّرة من هارون. كان موسى قد وحّد الكهنوت في عائلة شقيقه هارون، وخدمة العبادة في عشيرة لاوي. وبأمر من اللّه منح الكهنوت لهارون ونسله، فكرّس هارون بمسح رأسه بالزيت كاهنًا بامتياز، كرئيس الكهنة، وكرّس نسله برشّ الماء فقط (خروج ٢٩/١-٧؛ ٣٠/٣١). انتقل الكهنوت من جيل إلى جيل بالوراثة وبدون مسحة جديدة (خروج ٤٠/١٣). كانت مهمّة الكهنة القيام بخدمة بيت اللّه، وتطهير كلّ شيء، وحمد الربّ وتسبيحه كلّ صباح ومساء، وتقديم المحرقات للربّ في السبوت والأعياد. وقسم داود الكهنة إلى فرق من أجل استمراريّة الخدمة في الهيكلين: هيكل المحرقات وهيكل البخور. كان عدد الفرق اربعًا وعشرين، من بينها فرقة آبيا، وهي الثامنة حسب الترتيب (أخبار ٢٤؛ لو١/٥ و٨-١٠).

بعد خراب هيكل سليمان في أورشليم سنة ٧٠ بعد المسيح، انتزع الكهنوت من الشعب الاسرائيليّ، بسبب انتهاء تدبير موسى الكهنوتيّ وقيام كهنوت العهد الجديد مع المسيح الكاهن الأزليّ، وتأسيس الكنيسة وكهنوت الفداء، فلم يبقَ أيّ مبرّر للكهنوت الاسرائيليّ. وهكذا لا يوجد بعد

الآن في الديانة اليهوديّة سوى المعلّمين (رابيّ) الذين يديرون العبادة المؤلّفة من صلوات وقراءات.

أليصابات من نسل هارون. كانت تعيش وزوجها في برّ اللّه والسير بوصاياه من دون لوم.

هذه الأسرة أنجبت يوحنّا السابق. يعلّم الارشاد الرسوليّ "**رجاء جديد للبنان**" أنّ الأسرة هي الكنيسة الصغرى، ومدرسة الحبّ، والموقع الأوّل للشهادة المسيحيّة والرسوليّة بالمثل وبالكلام. فيها يتربّى الأولاد، منذ الصغر، على حضور اللّه والثقة بحنانه الأبويّ. وفيها يحظى الشباب بمعرفة المسيح، ويختارون اتّباعه اتّباعًا سخيًّا، سواء في حالة الزواج أم في الكهنوت أم في الحياة المكرّسة (أنظر فقرة ٤٦).

زكريّا وأليصابات المسنّان أنجبا ولدًا هو خاتمة الأنبياء، بالرّغم من انتفاء كلّ رجاء "كيف أعرف هذا، وأنا رجل مسنّ وامرأتي متقدّمة في عمرها؟"

يتحدّث الارشاد الرسوليّ "**العلمانيّون المؤمنون بالمسيح**" عن رسالة المسنّين في الأسرة والكنيسة والمجتمع (فقرة ٤٨)، ويقول: الدخول في سنّ الشيخوخة امتياز لا يُعطى لجميع الناس، والانسان المسنّ هو الشاهد لتقليد الايمان ومعلّم حياة وصانع محبّة وقوّة لشعب اللّه كلّه. عن المسنّين يقول المزمور ٩١: "ما زالوا في المشيب يثمرون، وفي الازدهار والنضارة يظلّون، ليخبروا بأنّ الربّ مستقيم" (مز ٩١/١٥-١٦). وإليهم يتوجّه هذا النداء: "لستم، أيّها المسنّون، على هامش حياة الكنيسة، ولستم عناصر سلبيّة في عالم يتطوّر بسرعة، ولا يجوز لكم الظنّ أنّكم كذلك. بل إنّكم عناصر فاعلة، في حقبة من الوجوه الانسانيّ، تمتاز بخصبها البشريّ

والروحيّ. ولكم رسالة يجب أن تؤدّوها، وعليكم واجب مشاركة يجب أن تقوموا به. إنّ كلّ كائن بشريّ هو، بحسب التدبير الالهيّ، حياة تنمو، فتبدأ مع انبثاق أوّل شرارة من وجوده. ولا تنتهي إلاّ في الرمق الأخير من حياته" (الارشاد المذكور، ٤٨).

تدبير اللّه هذا ينفي التهميش والاجهاض والقتل الرحيم، وينجّي من اليأس والانطواء على الماضي.

الطوباويّ **البابا يوحنّا الثالث والعشرون**، الذي انتخب بعمر ٧٧ سنة، وكان مفاجأة غير متوقّعة للعالم كلّه، بعد البابا العظيم بيّوس الثاني عشر، وشاء مجمع الكرادلة عهده "حبريّة انتقاليّة"، قال عن نفسه بروح النكتة: "قطعة الغيار يمكن أن تكون أيضًا مفيدة". دامت حبريّته خمس سنوات (١٩٥٨-١٩٦٣)، لكنّها حقًّا كانت مفاجأة تاريخيّة للعالم بأسره. فهو بابا المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني أعلنه بعد ثلاثة أشهر من انتخابه، وافتتح دورته الأولى بعد أربع سنوات (١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢). وهو الذي هيّأ حبريّة البابا بولس السادس رائد الاصلاح الشامل في الكنيسة، وهو بابا الرسالتين الكبيرتين: "أمّ ومعلّمة" عن العدالة الاجتماعيّة، و"سلام في الأرض" عن ثقافة السلام، وبابا التجدّد (aggiornamento) ورائد وحدة المسيحيين والحوار مع الأديان.

٢. يوحنّا السابق

يوحنّا هو ابن صلاة الجماعة (لو ١/٨-١٣) التي كان يرفعها أبوه الكاهن باسم الشعب، وتدور كلّها حول انتظار الخلاص الموعود، والمعروف بالخلاص المسيحانيّ. وهو أيضًا ثمرة والديه وأمانتهما للربّ ولوصاياه. هذا الواقع يتجدّد يوم الأحد، في لقاء الجماعة التي يعلن لها كلام اللّه، كما أعلنه

الملاك لزكريّا. إنّه لقاء حوار اللّه مع شعبه: هو يعلن عجائب الخلاص ويعرض مقتضيات العهد، وجماعة المؤمنين تجدّد الأمانة للّه والخضوع لرسومه، والروح القدس يجعلها تلتزم بما تسمعه (يوم الربّ، ٤١).

الروح القدس، الذي هيّأ مجيء الربّ برسالة خفيّة، هو الذي هيّأ يوحنّا وملأه وقاد خطاه ليكون ما أعلنه الملاك:

أ- **اسمه يوحنّا أي "اللّه يرحم"**. الاسم وحده يعلن مجيء المسيح الذي سيجسّد رحمة اللّه. ففي شخصه وأعماله ظهرت رحمة اللّه. هو أكّد ذلك في مجمع الناصرة (لو ٤/١٦-٢١)، وللبعثة التي أرسلها إليه يوحنّا نفسه (لو ٧/٢٢). وهو ردّد باستمرار كلمة هوشع النبيّ: "رحمة أريد لا ذبيحة" (هوشع ٦/٦؛ متّى ٩/١٣؛ ١٢/٧)، وعلّم سرّ اللّه الرحوم في مثل الرحمة المعروف بمثل الابن الضال (لو ١٥/١١-٣٢). رحمة اللّه هذه تعلنها المزامير (أنظر خاصّة مز ٤٦/٧-٩ ومز ١٤٧/٣ و٦).

يوحنّا نفسه هو تجلّي الرحمة لزكريّا وأليصابات اللذين طالما صلّيا المزمور ١٠٣/١٣: "كما يرأف الربّ ببنيه، يرأف الربّ بالذين يتّقونه"، والمزمور ٣٣/١٨-١٩: "عين الربّ على الذين يتّقونه، على الذين يرجون رحمته لينقذ من الموت نفوسهم". هذا ما يعنيه كلام الملاك: "لا تخف يا زكريّا، فقد سُمعت صلاتك"، وكلام أليصابات: "هذا ما صنع لي الربّ في الأيّام التي نظر إليّ فيها، لينزع عاري من بين البشر".

ب- **سيفرح بمولده أناس كثيرون**، لأن بيوحنّا يتجلّى تصميم اللّه الرحوم على شعبه، يفتقده ويخلّصه: "طوبى للشعب الذي الربّ إلهه" (مزمور ١٤٤/١٥)، إليه يهتف: "الربّ عزّي، لقد كان لي خلاصًا. أعترف لك لأنّك شجّعتني وكنت لي خلاصًا" (مز ١١٨/١٤-٢٠).

ج- **يملأه الروح القدس** وهو في بطن أمّه، كما كرّس رجالات العهد القديم "وهم في بطون أمّهاتهم". مثل شمشون وإرميا وعبد يهوه الذين سبق واختارهم لرسالتهم. هذا الروح سيملأ يوحنّا من ناره، "روح إيليا وقدرته"، فيسير أمام الربّ كسابقه، ليعدّ له الطريق. الروح يتمّم في يوحنّا "الكلام بالأنبياء"، فينهي يوحنّا حقبة الأنبياء التي دشّنها إيليا. مع يوحنّا يبدأ الروح زمن الارتداد والتوبة (لو ١٦/١٧)، ويستبق ولادة الانسان الجديد "من الماء والروح" (يو ٣/٥).

د- **عظيم أمام الربّ والناس** (لو ١/١٥). يصف مرقس الانجيليّ (مر ١/٦) والسيّد المسيح (متّى ١١/١٨) تقشّف يوحنّا. فكان الشعب يهابه ويعدّه نبيًّا (متّى ١٤/٥) وهيرودس يخافه ويعتبره صديقًا (مر ٦/٢٠). ووصفه الربّ يسوع بأنّه "الملاك المرسل أمام وجهه" (متّى ١١/١٠)، "إيليّا المزمع أن يأتي" (متّى ١١/١٤). أمّا هو فوصف نفسه أنّه غير أهل لحلّ سير حذاء يسوع (مر ١/٧).

لقد دشّن يوحنّا نهجًا جديدًا في المسؤوليّة، سواء في المجتمع أم في الكنيسة: فلا يقدر على الخدمة إلاّ الذي أحبّها وفضّلها على نفسه، والذي يرى نفسه لا شيء والمواطنين الآخرين كلّ شيء، والذي تنزّه عن المال وشهواته.

٣. الصلاة ينبوع ثقافة السلام

أثناء صلاة البخور كان لقاء اللّه مع زكريّا بواسطة الملاك فكان السلام في قلبه وبيته من خلال البشرى بمولد ابن له يحمل رحمة اللّه إلى الشعب كلّه. فكان الخبر سبب سرور الكثيرين. الكنيسة تناضل بالصلاة من أجل السلام. فالصلاة تفتح القلب إلى علاقة عميقة مع اللّه، وإلى لقاء مع القريب

بروح الاحترام والثقة والتفهّم والتقدير والمحبّة. الصلاة تولّد الشجاعة وتعضد أصدقاء السلام الحقيقيين الساعين إلى تعزيزه في مختلف ظروف حياتهم.

سرّ الافخارستيا، "مصدر الحياة المسيحيّة كلّها وذروتها" (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ١١)، هو الينبوع الذي لا ينضب لكلّ التزام مسيحيّ أصيل بالسلام. **فالقدّاس** يبدأ بنشيد "المجد للّه في العلى، وعلى الأرض السلام"، للدلالة أنّ السلام على الأرض انعكاس لمجد اللّه في السماء، وأنّه عطيّة إلهيّة موكولة إلى الجماعة الملتئمة حول الربّ في القربان. وفي بدء قسم ذبيحة الفداء، المعروف بالنافور، تقام صلاة السلام، ويؤخذ السلام من القرابين المعدّة لتتحوّل إلى جسد المسيح ودمه، ويُوزّع على الجماعة المؤمنة استباقًا لمناولة من هو "أمير السلام" الذي يجعلنا "فاعلي سلام"، واستعدادًا للمشاركة في سرّ الذبيحة والوليمة: "إذا كنت تقدّم للربّ قربانك، وتذكّرت أنّ لأخيك عليك شيئًا، إذهب أوّلاً وصالح أخاك، ثمّ عدْ وقدّم قربانك" (متّى ٥/٣٣-٣٤). وفي التذكارات تصلّي الجماعة من أجل الرؤساء الروحيين والمدنيين وذوي الارادات الصالحة ليعملوا جاهدين من أجل إحلال السلام في كلّ أبعاده الروحيّة والاجتماعيّة، السياسيّة والاقتصاديّة، المعنويّة والانمائيّة. وبعد الجلوس إلى مائدة الربّ القربانيّة وفي ختام القدّاس، يصرف الكاهن الشعب ليذهب بسلام مزوّدًا بالخبز السماويّ، خبز الكلمة والنعمة والمحبّة، ويعمل في حياته اليوميّة من أجل إحلال السلام على أساس الحقيقة والعدالة وإنماء الانسان والمجتمع.

■ ثانيًا، وجوه عاونت في تصميم الخلاص وعاشت روحانيّة المعمدان

من بين القدّيسين الجدد نذكر الطوباويين الزوجين الايطاليين: Luigi

Beltrami Quattrocchi (١٨٨٠-١٩٥١) وزوجته Maria Corsini (١٨٨٤-١٩٦٥)، أعلن تطويبهما البابا يوحنّا بولس الثاني في ٢١ تشرين الأوّل ٢٠٠١. هما أوّل زوجين يرفعان معًا في الكنيسة للتكريم على المذابح. عاشا بشكل خارق كزوجين ووالدين، وقد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا "بمعبد سيّدة الحبّ الالهيّ" في روما. أثناء الحرب الكونيّة الثانية زارت السيّدة ماريّا معبد السيّدة وسلّمت العذراء أولادها الأربعة، فنجوا بأعجوبة من حادثة حرب. كان لويجي محاميًا وزوجته ماريّا مثقّفة وكاتبة. تزوّجا في روما سنة ١٩٠٥، وأنجبا أربعة أولاد: ابنين وابنتين ما بين سنة ١٩٠٦ و١٩١٤، اعتنقوا كلّهم الحياة الرهبانيّة والكهنوت بسبب جوّ العائلة المقدّس، المفعم بالصلاة وعبادة قلب يسوع، والمشاركة اليوميّة في القداس الالهيّ في بازليك مريم الكبرى في روما، وفي النشاط الرسوليّ في حركة النهضة المسيحيّة، وحركة "من أجل عالم أفضل". كانت الزوجة ممرّضة متطوّعة في الصليب الأحمر، ومعلّمة تعليم مسيحيّ للسيّدات في الرعيّة، ومنظّمة دورات إعداديّة للزواج، ومساهمة في إنشاء جامعة قلب يسوع الكاثوليكيّة، وعضوًا في المجلس المركزيّ للاتحاد النسائيّ الكاثوليكيّ الايطاليّ. كانت الحياة الزوجيّة والعائليّة لهذين الزوجين طريقًا إلى القداسة، وسيرًا إلى الله بعيش الحبّ. فالقداسة هي أن تحبّ، والحبّ ممكن للجميع؛ ولذلك، الجميع مدعوّون الى إلقداسة.

تنظر الكنيسة حاليًّا في دعوى تطويب رجلَي دولة متزوّجين وربّي عائلة. الأوّل هو رئيس وزراء إيطاليا الشيدي دي غاسبري Alcide de Gasperi (١٨٨١-١٩٥٤)، الذي قيل فيه إنّه مسيحيّ متواضع، مخلص، وملتزم، أعطى الشهادة الكاملة لايمانه في حياته الخاصّة والعامّة، وعرف كيف يجمع معًا الفضائل الدينيّة والفضائل المدنيّة، ويضعها في خدمة

الالتزام السياسيّ. كتب مرّة إلى زوجته Francesca: "يوجد رجال غنيمة، ورجال سلطة، ورجال إيمان. أودّ أن أذكر بين هؤلاء الأخيرين". والثاني هو الفرنسيّ Robert Schuman (١٨٨٦-١٩٦٣) رئيس وزراء ووزير الماليّة وأخيرًا رئيس البرلمان الأوروبيّ في ستراسبورغ؛ لقد لقّبوه "بأبي أوروبا" وبالمسيحيّ الملتزم من أجل أوروبا مسيحيّة جديدة. لقد جمع مع زميله Gasperi بين الالتزام المسيحيّ والعمل السياسيّ المتفاني. وسلكا هكذا الطريق إلى القداسة من خلال الالتزام السياسيّ، عائشين أبعاد المعموديّة. هذا ما نرجوه لرجال السياسة عندنا.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تواصل الجماعة الراعويّة والديريّة والتربويّة والرياضيّة، وكذلك الأسرة، التفكير معًا في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**كنيسة الرجاء**"، وتحديدًا في قسمه الثاني: "**الرجاء، هواجس وعلامات**" (الفقرات ١٣-١٧).

يدور التفكير حول التمييز بين الرجاء والآمال البشريّة.

الرجاء يتناول كلّ ما له علاقة بحياة الانسان، إنطلاقًا من الثقة البنويّة باللّه وبكلامه ووعوده، وصولاً إلى الثبات في الرجاء وسط المحن والشدائد، بانتظار تجلّيات اللّه الآتية في حينها: "من يصبر إلى المنتهة يخلص" (متّى ٢٤/١٣).

أمّا الآمال البشريّة فتنطلق من فكر الانسان وحساباته ومشاريعه. يمكن لهذه الآمال أن تتحقّق إذا توفّرت لها الظروف الملائمة، كما يمكن لها أن تفشل لأسباب مرتبطة بالانسان نفسه أو خارجه عن إرادته (فقرة ١٥).

في ضوء هذه التمييز **تقوم الجماعات بقراءة الالتباس الحاصل في أذهان الكثيرين بين الرجاء المسيحيّ والآمال البشريّة**، وسط الأحداث التي رافقت حياتهم. يكشف النصّ المجمعيّ عن حالتين:

أ- من الناس من ظلّ صامدًا معتصمًا بالايمان ومتمسّكًا بالرجاء، مشدّدًا عزائمه ومرسّخًا إيمانه ورجاءه في ما يقول الروح للكنيسة، ولاسيّما في الارشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان". **هذا رجاء مسيحيّ**.

ب- وهناك من بلبلتهم الانتكاسات السياسيّة والمآسي الاجتماعيّة وولّدت لديهم الخيبات، لأنّ الطموحات والآمال البشريّة أخفقت. فكان التراشق بالتّهم والخيانات. **هذه آمال بشريّة** (فقرة ١٦).

ويدعو النصّ المجمعيّ **إلى الجمع بين الرجاء والآمال**. بحيث ينطلق الانسان من آماله وطموحاته إلى تحقيق المشروع الالهيّ: خلاص الانسان وترقّي الانسانيّة، واضعًا أمامه علامات الرجاء (فقرة ١٥ و١٦).

***

صلاة

أيّها الروح القدوس، روح الحكمة والمحبّة والقداسة، ثبّت خطانا في طريق التجدّد الكنسيّ، واعضدنا، أفرادًا، وعائلات وجماعات، كي نلتزم بتوصيات المجمع البطريركيّ ومقرّراته في جميع أبرشيّاتنا ورهبانيّاتنا ومؤسّساتنا، حتّى نواصل الشهادة لحضارة المحبّة، بشفاعة أمّنا مريم والدة الاله، وأبينا القدّيس مارون وجميع القدّيسين، لك المجد والشكر مع الآب والابن إلى الأبد. (صلاة المجمع).

الأحد ٢٦ تشرين الثاني ٢٠٠٦

بشارة العذراء مريم

البشارة بداية عهد المسيح والكنيسة للسلام في العالم

من إنجيل القدّيس لوقا ١/٢٦-٣٨

قال لوقا البشير: في الشهر السادس، أرسل جبرائيل من عند اللّه إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. ولمّا دخل الملاك إليها قال: «السلام عليك، يا ممتلئة نعمة، الربّ معك». فاضطربت مريم لكلامه، وأخذت تفكّر ما عسى أن يكون هذا السلام! فقال لها الملاك: «لا تخافي، يا مريم، لأنّك وجدت نعمة عند اللّه. وها أنت تحملين، وتلدين ابنًا، وتسمّينه يسوع. وهو يكون عظيمًا، وابن العليّ يدعى، ويعطيه الربّ الإله عرش داود أبيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية!».

فقالت مريم للملاك: «كيف يكون هذا، وأنا لا أعرف رجلاً؟». فأجاب الملاك وقال لها: «الروح القدس يحلّ عليك، وقدرة العليّ تظلّلك، ولذلك، فالقدّوس المولود منك يدعى ابن اللّه! وها إنّ أليصابات، نسيبتك، قد حملت هي أيضًا بابن في شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك التي تدعى عاقرًا، لأنّه ليس على اللّه أمر مستحيل!». فقالت مريم: «ها أنا أمة الربّ، فليكن لي بحسب قولك!». وانصرف من عندها الملاك.

***

البشارة لمريم هي أيضًا للعالم أجمع: منها سيولد المخلّص المسيح المنتظر، وهي المخطوبة لرجل اسمه يوسف من سلالة داود الملك، لكنّ اللّه أرادها أمًّا بتولاً للكلمة ابن اللّه المتجسّد، يسوع المسيح، بقوّة الروح القدس، وأمًّا روحيّة بالنعمة للجنس البشريّ المفتدى بدم ابنها الالهيّ، وأمًّا للكنيسة التي هي المسيح الكلي: المسيح الرأس وجسده المؤلّف من جماعة المفتدين.

في هذه البشارة **تحقّق وعد اللّه** بالخلاص الذي قطعه مخاطبًا الشيطان المتمثّل في الحية: "أضع عداوة بينك وبين المرأة هي العذراء مريم حواء الجديدة - بين نسلك ونسلها - أي بين الشيطان والمسيح - هو يسحق رأسك وأنت تترصّدين عقبه" (تك ٣/ ١٥) هذا الوعد أبرمه اللّه فيما بعد **عهدًا مع ابراهيم** ونسله. وفي البشارة تتجلّى كرامة العائلة وقدسيّتها ودعوتها.

١. البشارة: بداية عهد المسيح والكنيسة

مع البشارة لمريم **يبدأ عهد جديد** هو دخول كلمة اللّه في صميم العائلة البشريّة، متّخذًا طبيعة إنسانيّة من مريم العذراء، وفي تاريخ الجنس البشريّ مفتديًا إيّاه من عبوديّة الخطيئة والشر، وفي كلّ ثقافة بشريّة موجّهًا إيّاها إلى كلّ حقّ وخير وجمال.

في البشارة يتجلّى سرّ يسوع المسيح: إنّه ابن اللّه، الذي "أصوله منذ القديم منذ أيّام الأزل" (ميخا ٥/ ١)، وهو "كلمة الآب" (يو ١/ ١-٢)، وابن مريم بالجسد في الزمن. حقيقة مزدوجة أعلنها **يوحنّا الرسول**: "والكلمة صار بشرًا، وسكن بيننا، ورأينا مجده، مجد ابن وحيد آت من الآب، ملآن نعمة وحقًّا" (يو ١/ ١٤)، وكتب عنها **بولس الرسول**: "لمّا بلغ ملء الزمان، أرسل

اللّه ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا في حكم الشريعة، لكي يفتدي الذين هم في حكم الشريعة، حتّى ننال البنوّة" (غلاطية ٤/٤-٥). هذه **اللوحة الانجيليّة** هي أساس إعلان **يوحنّا وبولس**: فالملاك جبرائيل يؤكّد لمريم أنّها "تحمل وتلد ابنًا وتسمّيه يسوع، هو ابن اللّه المولود منها بحلول الروح القدس" (لو ١/٣١ و٣٥)، وأنّه "من سلالة داود الملك ويملك على الجنس البشريّ إلى الأبد" (لو ١/٣٣). ملوكيّته ملوكيّة خلاص وفداء، ملوكيّة "النعمة والحقّ".

ومع البشارة **يبدأ شعب جديد هو الكنيسة** المؤلّفة من جماعة الذين قبلوا الكلمة الالهيّ، يسوع المسيح، النور الحقيقيّ الذي ينير كلّ إنسان آت إلى العالم، وآمنوا باسمه، فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء اللّه، هم الذين، لا من دم ولا من رغبة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من اللّه ولدوا" (يو ١/١٣، ١٢، ٩).

هذه **الكنيسة** هي "**مملكة داود**" **الجديدة** التي وعده بها اللّه على لسان ناتان: "أقيم من يخلفك من نسلك الذي يخرج من صلبك. وأنا أثبّت عرش ملكه للأبد. أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا" (٢ صموئيل ٧/١٢-١٤)، وعلى لسان أشعيا النبيّ: "الشعب السالك في الظلمة أبصر نورًا عظيمًا... لأنّه ولد لنا ولد وأعطي لنا ابن، فصارت الرئاسة على كتفه... لسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته، ليقرّها ويوطّدها بالحقّ والبرّ من الآن وللأبد" (أشعيا ٩/١ و٥ و٦). يسوع المسيح ابن اللّه المتجسّد هو الملك الجديد الأبديّ، والكنيسة مملكته الثابتة إلى الأبد التي "لن تقوى عليها أبواب الجحيم" (متّى ١٦/١٨)، قوى الشرّ والموت. والكنيسة هي "**بيت يعقوب**" **الجديد** أي شعب اللّه الجديد، بالنسبة إلى القديم الذي كان يسمّى "اسرائيل". إنّها ذات عنصرين: **عنصر إلهيّ** هو يسوع المسيح ابن اللّه منذ الأزل وابن مريم في الزمن، وهو رأسها، **وعنصر بشريّ** هو جماعة المفتدين

الذين يؤلّفون جسد المسيح. هذه الكنيسة هي زرع ملكوت اللّه وبدايته الذي يكتمل في مجد السماء، في نهاية الأزمنة عندما يأتي المسيح بالمجد (الدستور العقائديّ في الكنيسة ٥ و٤٨؛ التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٧٦٨).

البشارة لمريم هي للكنيسة وللبشريّة جمعاء، لأنّ هذه ستكون أمّ الاله المتجسّد، المسيح التاريخيّ، وستكون أيضًا أم أعضاء جسده السريّ، المسيح الكليّ، الذين ستساهم بحبّها في ولادتهم الجديدة (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٥٣). أم المسيح الكليّ هي "أمّ الكنيسة" (البابا بولس السادس، ١٩٦٤/١١/٢١). لهذا السبب حيّاها جبرائيل بسلام الفرح والتغبيط: "السلام عليكِ! افرحي! ولا تخافي! لأنّك نلتِ حظوة عند اللّه" (لو ١/٢٨ و٣٠). هذه الحظوة هي للبشريّة بأسرها التي يشملها عهد الفداء. فمن مريم، التي حظيت بشرف الأمومة للاله وللكنيسة، تفيض بواسطتها النعمة الالهيّة على البشريّة جمعاء، بوصفها الشريكة في التجسّد والفداء. ولهذا السبب ما ناداها الملاك باسمها عندما حيّاها، بل سمّاها "ممتلئة نعمة". هذه التسمية تكشف سرّ مريم الغنيّ بالأوصاف.

إنّها بريئة من دنس الخطيئة الأصليّة، لأنّ النعمة الالهيّة ملأتها منذ اللحظة الأولى لوجودها، فلم تعرف الخطيئة، لا الأصليّة ولا الفعليّة.

وهي **البتول والأمّ**، وقد ظلّت بتولاً قبل الميلاد وفيه وبعده، بقدرة اللّه الفاعلة فيها بحلول الروح القدس، هذا معنى قول الملاك: "الربّ معك"، لتأكيد واقع حاضر فيها، لا مجرّد دعاء. وبذلك هي مثال الأمومة والأبوّة الروحيّة للّذين يكرّسون بتوليّتهم للّه وللكنيسة بنذر العفة، سواء في الحياة الرهبانيّة أم في الحياة المكرّسة وسط العالم.

وهي **مثال الكنيسة**، الأمّ والبتول (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٦٣)، وقدوة

لها في الايمان والرجاء والمحبّة، بفضل اتّحادها الكامل بإرادة الآب، ومشاركة ابنها في عمل الفداء، وقبول إلهامات الروح القدس (التعليم المسيحيّ، ٩٦٧).

وهي **أيقونة الكنيسة النهيويّة**، إذ تكشف ما ستصير الكنيسة في الوطن السماويّ، في نهاية رحلتها على وجه الأرض، ومصير كلّ مؤمن (المرجع نفسه، ٩٧٦).

وهي **مثال لكلّ مسؤول** يحمل سلطة كنسيّة أم عائليّة أم مدنيّة، فيدرك أن "لا سلطة إلاّ من اللّه" (روم ١٣/ ١)، وأنّ صاحب السلطة هو خادم اللّه لدى الجماعة، ويلتزم العمل بموجب ما يوحيه اللّه له للخير العام. موقفه موقف مريم: "أنا أمة الربّ، فليكن لي حسب قولك" (لو ١/ ٣٨).

٢. العائلة المسيحيّة

البشارة لمريم التي تعلن دخول ابن اللّه وفادي الانسان عائلة يوسف ومريم، مولودًا بالجسد بقوّة الروح القدس، إنّما تكشف كرامة العائلة المسيحيّة وطهارة الحبّ الزوجيّ وقدسيّة الحياة بفضل حضور اللّه الثالوث فيها: "محبّة الآب القديرة تظلّلك، والروح القدس يحلّ عليك، والمولود منك قدّوس وابن اللّه يدعى" (لو ١/ ٣٥). العائلة النابعة من سرّ الزواج هي حقًّا "**كنيسة بيتيّة**".

العائلة حَرَم الحياة البشريّة: التي هي هبة من اللّه، وتحمل طابعًا مقدّسًا. وهي من اللحظة الأولى لتكوينها في أحشاء الأمّ كائن بشريّ كامل الحقوق وصاحب فرادة في شخصيّته ودعوته ورسالته، إذا لم يوضع حدّ لتطوّره الطبيعيّ البيولوجيّ، وإذا حظي بتربية بيتيّة وكنسيّة واجتماعيّة سليمة. لوحة البشارة خير دليل لهذا الواقع. العائلة هي مدرسة ثقافة الحياة التي

تشجب وتدين كلّ تعدٍّ على الحياة البشريّة سواء بوسائل منع الحمل أو بالحبوب المجهضة أم بالاجهاض، وكلّ تعدٍّ عليها وعلى كرامتها وحقوقها وسلامتها الروحيّة والجسديّة والمعنويّة، بعد ولادتها.

والعائلة هي المربّي الأوّل للانسان في ضميره الخلقيّ المسؤول، بحيث يربّى على حسن التمييز بين الخير والشرّ، الحقّ والباطل. الضمير كالغرسة، إذا استقامت تربيته كانت أخلاقه سليمة في كبره، لأنّ من شبّ على أمر شاب عليه. هكذا الغرسة إذا زرعت مستقيمة نمت كذلك، وإلاّ ظلّلت على انحرافها.

والعائلة مصدر النموّ الروحيّ والاجتماعيّ والرعويّ والوطنيّ، لأنّ فيها يحاك أوّل نسيج لعلاقات الانسان باللّه والمجتمع والكنيسة والوطن، وفيها يعاش أوّل اختبار لتقاسم الخيرات معهم. هذا النموّ مرتبط بالطاعة للوالدين اللذين يربّيان على "النموّ بالقامة والنعمة والحكمة قدام اللّه والناس"، كما جرى ليسوع في عائلة الناصرة (لو ٢/٥١-٥٢).

العائلة مكان التنشئة الروحيّة والايمانيّة، لأنّها المدرسة الأولى للايمان، حيث تُقبل بشرى الانجيل وتُعلن، ولأنّها المعبد الأوّل للصلاة، والكنيسة الأولى، حيث يدخل الانسان في شركة مع اللّه ومع الناس. إنّ الكنيسة الرعائيّة تبدأ في البيت، حيث تلتئم الأسرة للصلاة، وتبلغ إليه لتجسّد تعليمها ونعمتها في أفراد الأسرة، ومن خلالهم في المجتمع.

٣. البشارة لمريم إعلان لثقافة السلام

السلام هو ثمرة بركة اللّه، ولذلك هو باعث الفرح والابتهاج. إنّ تحيّة الملاك لمريم "بالسلام عليك" تعني في مفهومها اللفظيّ الآراميّ: "إفرحي يا مريم، تهلّلي، ابتهجي"، لأنّك نلت "حظوة" عند اللّه و"بركة منه" إذ ملأك نعمة

ودعاك لتكوني أمّ ابنه مخلّص العالم الذي سيأخذ جسدًا بشريًّا منك. ولهذا أنت "مباركة بين النساء". ولأنّ السلام عطيّة إلهيّة عظيمة مقدَّمة لكلّ الناس، فإنّه يقتضي طاعة لتصميم اللّه. هذا ما فعلته مريم عندما أجابت: "أنا أمة الربّ، فليكن لي حسب قولك".

أمر الرب الاله أن يصلّي الكاهن على الشعب هكذا: "يباركك الربّ ويحفظك، يضيء الربّ بوجهه عليك ويرحمك، يوجّه الربّ نظره نحوك ويمنحك السلام" (العدد ٦/ ٢٤-٢٦). **السلام هو مجموعة الخيرات الالهيّة:** البركة والعناية والرحمة والرضى والاختيار والدعوة. هذه الخيرات أفيضت على مريم، فباتت الكنيسة تهتف إليها بلقب "يا سلطانة السلام".

إنّ **ثقافة السلام** تقتضي التماس الخيرات السماويّة وإدراكها والشهادة لها بين الناس، بتقاسمها وتجسيدها في الأعمال والمواقف والمسلك. هذه الثقافة تنطلق من حقّ كلّ إنسان وشعب أن ينعم بالسلام الذي لا يعني فقط انعدام الحرب، بل هو إعطاء كلّ إنسان حقوقه الأساسيّة ولاسيّما منها حقّه في النموّ وتحقيق الذات، وخروجه من حالة الفقر والجهل والحرمان. السلام الحقيقيّ والدائم هو ثمرة العدالة والمحبّة والانماء والترقّي. عنه قال المسيح: "سلامي أعطيكم، لا كما يعطيه العالم أعطيكم أنا" (يو ١٤/ ٢٧).

ما أجمل أن يكون الانسان لأخيه ولشعبه "بشارة سلام" يحمل إليهم خيور السلام الآتي من اللّه!

■ ثانيًا، أعياد الأسبوع

أجمل عيدين تحتفل بهما الكنيسة عيد تقدمة العذراء مريم إلى الهيكل وعيد والديها يواكيم وحنّة.

تقدمة العذراء مريم للهيكل (٢١ تشرين الثاني)

عندما بلغت الطفلة مريم ثلاث سنوات من عمرها قدّمها أبواها إلى الهيكل لتتربّى فيه وتخدم، حسب التقليد الرسوليّ والكنسيّ، وذلك وفاء لنذر قطعته أمّها حنّة، التي كانت عاقرًا. فطلبت من اللّه أن يعطيها ولدًا لتكرّسه لخدمته، فرزقها ابنة "ممتلئة نعمة". فقدّمها أبواها للربّ عن يد الكاهن زكريّا. هذه التي قدّمت إلى الهيكل أصبحت هيكل الثالوث القدّوس الآب الذي ملأها بحبّه، والابن الذي استقرّ في حشاها، والروح القدس الذي حلّ عليها وفيها.

تفرّغت مريم في الهيكل للصلاة والتأمّل والخدمة، وتعلّمت مطالعة الكتب المقدّسة. وأقامت فيه حتّى بلغت الخامسة عشرة من عمرها. ثمّ عادت إلى الناصرة، حيث بلغتها البشارة الملاك، وكانت مخطوبة ليوسف. وبعد ثلاثة أشهر أخذها يوسف إلى بيته بعد بيان الملاك له، فانتقلت إلى البيت الزوجيّ حسب العادة اليهوديّة، وكرّس الزوجان بتولتهما للّه من أجل خدمة ابن اللّه المتجسّد وملكوت اللّه البادىء مع الكنيسة الناشئة في بيتهما.

مريم المكرّسة هي شفيعة المكرّسين والمكرّسات سواء في الحياة الرهبانيّة المنظّمة أم في العالم واقفين ذواتهم على خدمة اللّه والكنيسة على خطى المسيح وأمّه مريم.

عيد القدّيسين يواكيم وحنّة (٢٢ تشرين الثاني)

هما والدا أمّنا مريم العذراء وجدّا سيّدنا يسوع المسيح. يواكيم من الناصرة من ذريّة داود الملك، وحنّة من بيت لحم من عشيرة يهوذا. كانا بارّين وسائرين في شريعة الربّ، متّحدين قلبًا واحدًا، مضطرمين بمحبّة اللّه والناس، عائشين بالصلاة والتأمّل، منتظرين مجيء مخلّص العالم.

لم يطعما ثمرة البنين، وظلاّ برجاء وطيد يلتمسان ولدًا من اللّه مع الوعد الصادق بتكريسه للّه. فكانت مريم التي عصمها اللّه، منذ اللحظة الأولى لتكوّنها في حشى أمّها، من الخطيئة الأصليّة الموروثة من أبوينا الأوّلين، وملأها نعمة القداسة، وأرادها أمًّا لابنه مخلّص العالم.

يتّضح جليًّا أنّ الأزواج هم معاونو اللّه في صنع تاريخ الخلاص، وأنّ كلّ ولد يولد لامرأة يريده اللّه ويحبّه لذاته ويقسم له دورًا خاصًّا في التصميم الخلاصيّ، وأنّ الجنين كائن بشريّ منذ اللحظة الأولى لتكوينه، وأنّ الزواج والأبوّة والأمومة دعوة إلى القداسة.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تواصل الجماعات المنظّمة: الأسرة، الرعيّة، الأديار، المنظّمات الرسوليّة، المجالس الراعويّة، اللجان، النوادي الثقافيّة والرياضيّة، التفكير معًا في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: **كنيسة الرجاء**.

في القسم الثاني من النصّ نفكّر معًا في علامتين من علامات الرجاء (فقرة ١٨ و١٩).

١. انتشار الكنيسة

انتشرت الكنيسة عامّة، والمارونيّة خاصّة، في العالم، بالرّغم من النكبات والمحن والاضطهادات، لتكون **خميرة في عجين هذا العالم**. هذا الانتشار هو الدليل لعناية اللّه ولوجود العنصر الالهيّ في الكنيسة إلى جانب العنصر البشريّ. فلا خوف على الكنيسة ومستقبلها، شرط أن يحمل أبناؤها وبناتها رسالة الأصالة لتراثها الأنطاكيّ السريانيّ، وأن يتفاعلوا مع مجتمعاتهم

بالانثقاف الروحيّ والخلقيّ والثقافيّ، ويتعاونوا مع الكنائس الأخرى بروح الوحدة في المحبّة، ويدخلوا في حوار مع الأديان الأخرى. ومن علامات الرجاء ما لعبته الكنيسة المارونيّة من دور في **الانفتاح الثقافيّ** وفي **النهضة العربيّة** في محيطها الشرق أوسطيّ، فضلاً عمّا حملت إلى الغرب من ثقافة الشرق منذ القرن السادس عشر، إنطلاقًا من المدرسة المارونيّة في روما التي تأسّست سنة ١٥٨٤، (فقرة ١٨).

٢. التمسك بالمركزيّة البطريركيّة

شكلّ دومًا شخص البطريرك الضامن لوحدة الموارنة، والبطريركيّة رمز هذه الوحدة. تمسّك الموارنة بالمركزيّة البطريركيّة بوجهيها المتلازمين.

أ- **الوقاية من التشرذم الكنسيّ** ومن أي حركة انفصاليّة. فعلى مدى التاريخ، فيما جُرحت الكنائس كلّها بجرح الانقسام، ظلّت الكنيسة المارونيّة، بعون الله وحسن الارادة، متماسكة في الوحدة حول شخص البطريرك، وحول خليفة القدّيس بطرس، بابا روما. وهذه علامة رجاء كبيرة.

ب- **دعم الوحدة وتفعيلها** في داخل الكنيسة المارونيّة، من أجل الشهادة للمسيح، مبدأ كلّ وحدة وأساسها، ومن أجل خدمة أوفر، ورسالة أشمل في أيّ مجتمع تواجد فيه أبناء هذه الكنيسة. ما تحقّق إلى الآن يشكّل علامة رجاء ناطقة ومشجّعة (فقرة ١٩).

بعد التفكير معًا، لا بدّ للجماعات المذكورة من أن ترسم خطّة عمل لمواصلة علامتي الرجاء هاتين، ولتدعيمهما بمبادرات عمليّة.

***

صلاة

زر يا ربّ بحبّك عائلتنا المجتمعة أمامك، واجعلها كنيسة مصغّرة بيتيّة، تشهد لك. أبعد عنها كلّ خلاف. رسّخها في الايمان والرجاء والمحبّة. إحمها من المصائب. قوّها في الشدائد. وحدّها برباط المحبّة والسلام. وأعطها قوّة روحك، فنكون حجارة حيّة في بناء كنيستك. لك المجد إلى الأبد. آمين (من كتاب صلاة العائلة).

زيارة مريم لاليصابات

تجلّيات عظائم الله

من إنجيل القدّيس لوقا ١/ ٣٩-٤٦

قال لوقا البشير: في تلك الأيّام (بعد البشارة بيسوع)، قامت مريم وذهبت مسرعة إلى الجبل، إلى مدينةٍ في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، وسلّمت على اليصابات. ولمّا سمعت أليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت من الروح القدس. فهتفت بأعلى صوتها وقالت: مباركة أنت في النساء، ومباركة ثمرة بطنك! ومن أين لي هذا أن تأتي إليّ أمّ ربّي؟ فها منذ وقع صوت سلامك في أذنيّ، ارتكض الجنين ابتهاجاً في بطني! فطوبى للّتي آمنت أنّه سيتمّ ما قيل لها من قبل الربّ!. فقالت مريم: «تعظّم نفسي الربّ...».

***

بدافع من المحبّة المسكوبة في قلب مريم، هي الممتلئة نعمة، المظلّلة بمحبّة الآب، الحالّ عليها الروح القدس، والحامل بابن الله، أسرعت لزيارة أليصابات، لكي، في ضوء ما سمعت من الملاك، تكون في خدمتها حتّى مولد يوحنّا، وتتأمّل معها في تدابير اللّه العجيبة، وترفعان معاً صلاة التسبيح والشكر. ثلاثة أشهر من الخدمة والصلاة، في ضوئها صارت القاعدة

الرهبانيّة، حسب القدّيس بندكتوس: "صلّ واعمل". هذه كانت نيّتها في الزيارة. لكنّ النتائج جاءت كبيرة جدّاً، لأنّها من صنع اللّه الذي يفتقد شعبه.

■ أوّلاً، لوحة الزيارة

١. نتائج الزيارة

لأنّ اللّه هو الذي يعمل من خلال الانسان بحكم اختياره وارساله، تأتي النتائج كبيرة وغير متوقّعة.

امتلأت أليصابات من الروح القدس، وتنبّأت وكشفت سرّ مريم: فهي المباركة بين جميع النساء، وحامل بثمرة مباركة، وأم ربّها، ومطوّبة لأنّها آمنت أنّ ما قيل لها من عند الربّ سيتمّ. ذلك أنّ أليصابات كانت منفتحة على سرّ اللّه، بشهادة لوقا الانجيليّ عنها وعن زوجها زكريّا: "كانا بارّين عند اللّه وتابعين جميع وصايا الرّب واحكامه، ولا لوم عليهما (لو ١/٦). فخصّهما بانجاب آخر نبيّ في العهد القديم وأوّل رسول في العهد الجديد، يوحنّا المعمدان.

امتلأ يوحنّا من الروح القدس، وهو جنين في حشا أمّه، كما أنبأ الملاك لزكريّا. وحيّا بارتكاضه المسيح الجنين هو أيضاً في بطن أمه مريم، كما عبّرت أليصابات: "مذ وقع صوت سلامك في أذنيّ، ارتكض الجنين بفرح عظيم في بطني". اللقاء بين الوالدتين اصبح في الواقع لقاء بين الولدين اللذين هما في خدمة الرسالة. وكأنّ الجنين يوحنّا، المملوء من الروح القدس، يفتتح رسالته كسابق للمسيح يدلّ إليه بلسان أمّه.

مريم، المملوءة من الروح القدس، تنشد نشيد المديح للّه القدير: "تعظّم

نفسي الربّ"، من أجل سرّ التجسّد، الذي تمّ في الخفاء والصمت في حشاها الطاهر. في هذا النشيد تعلن مريم أربع حقائق أساسيّة:

أ- القدير صنع العظائم في مريم الأمة الوضيعة. وقد كشفت الكنيسة هذه العظائم: الحبل بلا دنس، الأمومة الالهيّة، البتوليّة الدائمة، الانتقال بالنفس والجسد إلى مجد السماء. ولذلك "سوف يطوّبها جميع الأجيال".

ب- اللّه يتميز بثلاث صفات تكشف عمله في الانسان والتاريخ للّذين يخافونه ويعيشون في مرضاته بفضيلة التديّن والتقوى. والميزات هي **القدرة**: القدير صنع بي العظائم؛ **والقداسة**: اسمه قدّوس؛ **والرحمة**: رحمته إلى جيل وجيل".

ج- عناية اللّه وافتقاده الوضعاء فيرفعهم، والجياع فيشبعهم. وفي المقابل يندّد بالمتكبّرين فيشتّت أفكارهم، والأقوياء فينزلهم عن الكراسي، والأغنياء فيرسلهم فارغين.

د- عهد الربّ لشعبه: ينصره ويذكره بالرحمة "كما وعد ابراهيم ونسله".

نشيد "**تعظّم نفسي الرّب**"، صلاة غنيّة في مضمونها، مستلهمة من المزامير ومن صلاة حنّه (١ صموئيل ٢/١-١٠) ومن أقوال بعض الأنبياء. مريم، ككلّ مؤمن تقيّ، غذّت نفسها من الكتب المقدّسة، فكانت النصوص تتسارع إلى شفتيها. جمعتها في شخصيّتها وأعطتها روحاً منها. هذا الواقع يشبه بنّائي الكنائس المسيحيّة الأولى الذين أخذوا الحجارة وقطع الرخام والبلاط من الهياكل الوثنيّة، وأعطوها في الكنائس روحاً آخر، ووجهاً آخر. والصلاة هي كذلك جواب المؤمن على كلام اللّه الذي يسمعه ويقبله في قلبه فيصبح صلاة وحواراً داخليّاً متبادلاً بين الانسان واللّه.

٢. الافتقاد الالهي

في خطّ افتقاد اللّه لشعبه، كما نجده بشكل ملفت في العهد القديم، زار اللّه أفراداً وجماعات. هذه الزيارة الالهيّة المتكرّرة يُعبّر عنها بلفظة "افتقاد" اللّه، الذي يعني عمل النعمة. نجد في الكتب المقدّسة لفظتين متلازمتين: اللّه افتقد وافتدى، يفتقد شعبه ليخلّصه.

افتقد اللّه **أبيملك** في الحلم ونبّهه على خطأه، فارتدّ عنه ونجاه من السقوط والهلاك (تك ٢٠/٣-٧). افتقد **ساره** فولدت لابراهيم ابناً، اسحق، وكلاهما مسنّان (تك ٢١/١). افتقد **لابان الآراميّ** في الحلم وقد أدرك يعقوب الهارب من وجهه فنبّهه: "إيّاك أن تكلّم يعقوب بخير أو شرّ" (تك ٣١/٢٤). افتقد حنّة فولدت خمسة بنين وبنات، بعد أن كان اللّه قد حبس رحمها (١ صموئيل ٢/١،٢١/٥).

ونجد في أقوال الأنبياء وعوداً بأنّ اللّه سيفتقد شعبه:

يهوديت تؤكّد أنّ اللّه يفتقد اسرائيل عن يدها (يهوديت ٨/٣٣). **أشعيا** ينبىء أنّ اللّه يفتقد صور... فتصير تجارتها وأجورها قدساً للرّب (أشعيا ٢٣/١٧-١٨). زكريّا أعلن يوم مولد يوحنّا بعد انحلال عقدة لسانه: "مبارك هو الربّ لأنّه افتقد شعبه وجعل له خلاصاً، وبأحشاء رحمة إلهنا يفتقدنا نجم من العلى، لينير الذين في الظلمات وظلال الموت، وليقود خطانا في طريق السلام (لو ١/٦٧ و٧٨-٧٩).

والشعب كذلك، عندما رأى يسوع يقيم من الموت ابن أرملة نائين، هتف: "نبيّ عظيم قام بيننا وافتقد اللّه شعبه" (لو ٧/١٦). **والسيّد المسيح** عاتب أورشليم، كمدينة وشعب، وتنبّأ على خرابها، لأنّها لم تكترث لافتقاده، أي الخلاص وتدبير اللّه الجديد: "لو كنت عرفت أنت أيضاً، في يومك هذا،

ما هو لسلامك. ولكن، لقد خفي على عينيك الآن. ستأتي أيّام فيها يحيط بك أعداؤك من كلّ ناحية، ويسحقونك وبنيك الذين فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنّك لم تعرفي زمان افتقادك" (لو ١٩/٤٢-٤٤). في يوم الدينونة سيحاسبنا السيّد المسيح، الفادي والديّان، على افتقادنا المريض والسجين (متّى ٢٥/٣٦-٤٣).

يؤكّد **يعقوب الرسول** أنّ "الخدمة الطاهرة والمقدّسة أمام اللّه الآب، بالعبادة والتديّن الطاهر النقيّ، هي افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقاتهم، وصيانة الانسان نفسه عن العالم بغير دنس" (يعقوب ١/٢٠). واسطفانوس الشهيد يفسّر، في خطبته أمام مجلس اليهود، كيف أنّ "موسى زار إخوته بني إسرائيل في مصر. وانتصر واحد منهم كان يسوقه أحد المصريين ظلماً وغضباً. وظنّ أنّهم سيفهمون أنّ اللّه سيؤتيهم على يده خلاصاً، فلم يفهموا"، وخلص إلى القول: "يا قساة الرقاب، إنّكم في كلّ حين تقاومون الروح القدس؛ وكما كان آباؤكم فكذلك أنتم. أيّاً من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا وتنبّأوا بمجيء الصدّيق، ذاك الذي أنتم سلّمتموه وقتلتموه" (أعمال ٧/٥١-٥٢).

٣. مريم المباركة بين النساء

لقب "المباركة" أطلقه عليها الملاك جبرائيل وأليصابات (لو ١/٢٨ و٤٣). فهي "الممتلئة نعمة"، بفضل اختيار حرّ من قبل اللّه، وبفضل إيمانها الكامل بنداء اللّه. في هذا، مريم هي المثال والقدوة لكلّ المختارين والمؤمنين الطائعين. إنّها تعلن لنا أنّ اللّه هو في بداية كلّ إنسان، وأنّه في سرّ تدبيره، قد دعاه باسمه وكتبه في تاريخ الخلاص. واللّه، فيما يدعونا إلى الوجود،

إنّما يدعونا في الوقت عينه إلى الشركة معه. إنّه يحيط بحياة كلّ إنسان بمحبّة مخلصة لا يُسبر غورها.

مريم المباركة هي دلالة على أنّ اللّه ونعمته يسببيان كلّ كياننا وكلّ أعمالنا، بحيث أنّنا لسنا على شيء من ذواتنا، بل كلّ ما نحن عليه إنّما هو من اللّه وفي اللّه. هذه هي "**عظائم اللّه**" التي أنشدتها مريم الكليّة القداسة، وأصبحت عقائد إيمان في الكنيسة.

أ- **عقيدة الحبل بلا دنس** التي أعلنها **الطوباويّ البابا بيّوس التاسع في ٨ كانون الأوّل ١٨٥٨**: "إنّ العذراء مريم بقيت منذ اللحظة الأولى لحبلها، بنعمة وامتياز فريدين من قبل اللّه القدير، نظراً لاستحقاقات يسوع المسيح، مخلّص الجنس البشريّ، مصونةً من كلّ وصمة الخطيئة الأصليّة".

ب- **عقيدة أمومتها الالهيّة؛** فهي **والدة الاله** كما أعلنها **مجمع أفسس المسكونيّ سنة ٤٣١**، على أساس ما يعلنه العهد الجديد عن مريم أمّ يسوع. لم تلد مريم اللّه كإله، إنّما ولدت يسوع المسيح في بشريّته المرتبطة ارتباطاً جوهريّاً بالألوهة. الاعتراف بأنّ مريم هي "والدة الإله"، هو في النهاية اعتراف بأنّ يسوع المسيح هو إله حقيقيّ وإنسان حقيقيّ. ولأنّها أمّ الاله، يسوع المسيح، هي أيضاً أمّنا، نحن اعضاء جسده السّرّيّ، وبهذه الصفة تشفع بنا لدى ابنها وتقودنا إليه، وتصبح وسيطة كلّ النّعم، وبالتّالي أمّ الكنيسة (أنظر شرحاً بيبليّاً ولاهوتيّاً مسهباً في "المسيحيّة في عقائدها"، صفحة ١٩٤-١٩٨).

ج- **عقيدة بتوليّة مريم،** بالاضافة إلى ولادة يسوع البتوليّة، أعلنها "بتوليّة دائمة" **المجمع المسكونيّ الخامس المنعقد في القسطنطينيّة سنة**

٥٥٣، إذ يثبت أنّ مريم بقيت بتولاً **قبل** الولادة، **وفي** الولادة، **وبعد** الولادة. لفظة "**قبل الولادة**" تعني أنّ يسوع هو حقّاً ابن اللّه الذي لم يسلك سبيل الولادة البشريّة الاعتياديّ، بل سلك سبيل الولادة البتوليّة الذي يتلاءم مع التجسد الالهي على انه علامة له. ولفظة "**في الولادة**" تعني ان مريم لم تتألم آلام المخاض لانها منزّهة من الخطيئة الاصلية ومن كل خطيئة شخصية، وقد استعادت كمال الخليقة البشرية السابقة لخطيئة آدم. ولفظة "**بعد الولادة**" تعني أنّ مريم، بعد أن ولدت يسوع، بقيت عذراء ولم تنجب أولاداً آخرين (المرجع المذكور، صفحة ١٩٨-٢٠٣).

د- **عقيدة انتقال العذراء مريم بنفسها وجسدها إلى السماء**، أعلنها البابا بيّوس الثاني عشر في ١٥ آب ١٩٥٠: "إنّها لحقيقة إيمانيّة أوحى اللّه بها: إنّ مريم والدة الاله الدائمة البتوليّة والمنزّهة عن كلّ عيب، بعد إتمامها مسيرة حياتها على الأرض، نقلت بجسدها ونفسها إلى المجد السماويّ".

عقيدة الانتقال تقدّم لنا في مريم مثالاً مشعّاً للرجاء المسيحيّ الحقيقيّ. **إنّها آية الرجاء** من أجل الانسان في كلّ كيانه. فالجسد أيضاً سوف يُخلّص. هذا الرجاء قائم لأنّ يسوع المسيح قام من بين الأموات، فهو البداية وهو الأساس الثابت. وفي مريم اتّضح أنّ هذا الرجاء سيكون مثمراً بالنسبة إلينا، أنّه ينطوي على اكتمال الانسان في كلّ كيانه. هكذا **مريم هي المثال الأوّل لرجاء جميع المسيحيين** (المرجع المذكور، صفحة ٢٠٦-٢٠٨).

■ ثانياً، وجود نساء تقدّسن في الأمومتين الدمويّة والروحيّة

من بين القدّيسات اللواتي تقدّسن في آن في الحياة الزوجيّة المزدانة

بالأمومة الدمويّة والأمومة الروحيّة، نذكر قدّيستين إيطاليتين أعلن قداستهما البابا يوحنّا بولس الثاني مع إعلان قداسة مار نعمة الله الحرديني.

١. القدّيسة جنّا بريتّا مولاّ (Gianna Beretta Molla) (١٩٢٢-١٩٦٢)

هي زوجة وأمّ وطبيبة أطفال. أعلن قداستها البابا يوحنّا بولس الثاني في ١٤ أيّار ٢٠٠٤. هي العاشرة بين ١٣ ولداً. تزوّجت سنة ١٩٥٥ المهندس بياترو مولاّ (Pietro Molla) الذي ما زال حيّاً؛ وقد حضر الاحتفالين بإعلانها طوباويّة سنة ١٩٩٤ وقدّيسة سنة ٢٠٠٤. أنجبت ابناً وابنتين ما بين سنة ١٩٥٦-١٩٥٩. في الحبل الرابع بالابنة إمنويلا- جنّا (Emanuela Gianna) سنة ١٩٦١ بدأ الخطر يهدّد حياتها. فطلبت من الطبيب الجرّاح أن يخلّص الحياة التي تحملها في بطنها، وسلّمت أمرها للعناية الالهيّة وللصلاة. قالت للأطبّاء: إذا كان لا بدّ من اتّخاذ القرار بيني وبين الطفلة، فلا تتردّدوا: اختاروا، وهذا ما أريد، الطفلة، وخلّصوها. ولدت الطفلة في ٢١ نيسان ١٩٦٢. وبعد أسبوع ماتت الأمّ وهي تردّد: "يا يسوع أنا أحبّك". وكان عمرها ٣٩ سنة. لكنّ القديسة جنّا عاشت في القداسة منذ طفولتها، عندما قبلت المناولة الأولى بعمر خمس سنوات وتربّت في عائلتها تربية مسيحيّة عميقة، والتزمت في صباها بمنظّمة العمل الكاثوليكيّ، واستمرّت في حياتها الجامعيّة والطبيّة والزوجيّة تمارس سرّي التوبة والأفخارستيّا. وأعطت الكثير من وقتها للخدمة الرسوليّة والطبيّة المجّانيّة في المستوصفات والمستشفيات.

٢. الطوباويّة بولا إليزابيتّا شيريولي (Paola Elisabetta Cerioli) (١٨١٦-١٩٦٥)

من شمال إيطاليا، متزوّجة وأمّ لأربعة أولاد. أعلنها البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويّة في ١٦ أيّار ٢٠٠٤. ترمّلت ولها من العمر ٢٩ سنة، وفقدت

ثلاثة من أولادها بعمر الطفولة، والرابع كارلو بعمر ١٦ سنة. على فراش النزاع قال لها كلمة نبويّة: "ماما، لا تبكي بسبب موتي القريب، لأنّ اللّه سيعطيك أولاداً آخرين كثيرين". بعد الصلاة والاسترشاد وشرب كأس المرارة كاملاً، فتحت بيتها الكبير الذي ورثته من زوجها، وراحت تتفانى في خدمة المحتاجين والمرضى في محيطها. وفيما كانت تتأمّل يوماً وهي تنظر إلى صورة العذراء المتألّمة، أدركت أنّ كلمات ابنها النبويّة قد تحقّقت في العائلة المقدّسة، عائلة الناصرة، حيث ساهمت مريم ويوسف بشكل عجيب في تصميم الآب الخلاصيّ، بالأمومة والأبوّة الروحيّة الشاملة. فانصرفت إلى الاعتناء بالأطفال المهملين، بهدف تأمين مستقبل للّذين هم بدون مستقبل، بسبب حرمانهم من عائلة كريمة. فأسّست مع زميلاتها الخمس جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة، وأنشأت دوراً للأيتام والأولاد المهملين ومدارس ومستشفيات، ودورات تعليم مسيحيّ ورياضات روحيّة ومخيّمات صيفيّة. وهكذا تمّت نبوءة ابنها كارلو بأمومتها الروحيّة. ماتت ليلة الميلاد سنة ١٨٦٥ بعمر ٤٩ سنة.

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تواصل الجماعات الراعويّة التفكير معاً في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: "**كنيسة الرجاء**"، وبوجه التحديد في **علامات الرجاء** (الفقرتان ٢٠ و٢١). بعد تقبّل النصّ المجمعيّ تضع الجماعات خطّة تطبيقيّة.

١. الخصوصيّة والتراث

من علامات الرجاء ما أنعم به اللّه على كنيستنا عبر العصور من

خصوصيّة شكّلت تراثها الروحيّ والثقافيّ واللاهوتيّ. لقد غذّى هذا التراث أبناءها، وأسهم في تغذية فكر الكنيسة الجامعة.

تقتضي الخطّة الراعويّة وعي هذا التراث واتّخاذ مبادرات لتفعيله ونشره، بالتعاون مع الكنائس الأنطاكيّة الشقيقة (فقرة ٢٠).

٢. حسّ الانتماء الكنسيّ

من مدعاة الرجاء أن نلاحظ لدى المؤمنين العلمانيين حسّ الانتماء الكنسيّ الذي ظهر بنوع خاصّ في التجاوب مع المجمع البطريركيّ المارونيّ على كلّ المستويات: الصلاة والتفكير معاً والاجابة على الأسئلة التحضيريّة وتقديم الاقتراحات والمشاريع، وكتابة المقالات وإقامة الندوات والتغطية الاعلاميّة وتوزيع المنشورات.

تقتضي الخطّة الراعويّة اتّخاذ مبادرات لتعزيز هذا الحسّ الكنسيّ، وقد بلغنا إلى مرحلة تطبيق التعليم والتوصيات المجمعيّة. فالمسؤولون في الكنيسة يعملون على تثمير طاقات المؤمنين، وهؤلاء يلتزمون بالتعاون والمشاركة في حياة الكنيسة ورسالتها في العائلة والرعيّة والأبرشيّة والمجتمع والوطن (فقرة ٢١).

***

صلاة

يا مريم، فجر العالم الجديد وأمّ الأحياء، إليك نكل قضيّة الحياة. أنظري إلى هذا العدد المتزايد من الأجنّة الذين يُمنعون من أن يبصروا النور،

والفقراء الذين يصعب عليهم العيش، والرجال والنساء الذين يقعون ضحيّة العنف اللا إنسانيّ، والمسنّين والمرضى الذين يموتون بسبب الاهمال.

ساعدي ذوي الارادات الطيّبة، المؤمنين بابنك فادي الانسان، ليعلنوا **إنجيل الحياة**، بفرح وامتنان طوال حياتهم، وأن **يستشهدوا له** بشجاعة وثبات من أجل بناء حضارة الحقيقة والمحبّة، لمجد اللّه الخالق والمحبّ للحياة، آمين (صلاة للبابا يوحنّا بولس الثاني).

مولد يوحنا المعمدان

الرحمة والانصاف أساس السلام

من إنجيل القدّيس لوقا ١/ ٥٧-٦٦

قال لوقا البشير: تمّ زمان أليصابات لتلد، فولدت ابناً. وسمع جيرانها وأقاربها أنّ الربّ قد عظّم رحمته لها، ففرحوا معها. وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبيّ، وسمّوه باسم أبيه زكريّا. فأجابت أمّه وقالت: «لا! بل يُسمّى يوحنّا!». فقالوا لها: «لا أحد في قرابتك يدعى بهذا الاسم». وأشاروا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمّيه. فطلب لوحاً وكتب: «إسمه يوحنّا!». فتعجّبوا جميعهم. وانفتح فم زكريّا، وانطلق لسانه، وجعل يتكلّم ويبارك اللّه، فاستولى الخوف على جميع جيرانهم، وتحدّث الناس بكلّ هذه الأمور في كلّ جبل اليهوديّة. وكان من سمع بذلك يحفظه في قلبه قائلاً: «ما عسى هذا الطفل أن يكون؟». وكانت يد الربّ حقّاً معه.

***

اللّه يتمّ وعده، الذي أعلنه في بشارة الملاك لزكريّا: يوحنّا يولد، الشعب يفرح، ورحمة اللّه تتجلّى، والمولود يعطى اسمه، والنطق يعود لزكريّا. هذه كلّها علامات لعظمة هذا الصبيّ. اللّه أمين في وعده وعهده، فعندما يعد يفي. إنّه **إنجيل الرحمة**. نصلّي في المزمور ١٠٥: "احمدوا الربّ إلهنا وادعوا باسمه، انشدوا له وافتخروا باسمه القدّوس. هو الربّ إلهنا **يتذكّر للأبد**

عهده: الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل، العهد الذي قطعه مع ابراهيم، والقسم الذي أقسمه لاسحق، والذي جعله فريضة ليعقوب وعهداً ابديّاً لشعبه" (مز ١٠٥/١-١٠).

■ أوّلاً، انجيل رحمة اللّه

١. إنجيل الرحمة

اعتلن **إنجيل الرحمة** بمولد يوحنّا وباسمه الذي يعني **اللّه رحوم** "يهوحنان". وهو اعتلان يشمل تجليّات رحمة اللّه في العهد القديم، ويوحنّا آخر أنبيائه، ويفتتح تجلّياتها في العهد الجديد، ويوحنّا رسوله الأوّل. تجلّى اللّه الرحوم في المسيح وبواسطته، وجسّد المسيح الرحمة في شخصه، وكأنّه ألبسها شخصه. لقد أصبح هو الرحمة، فمن رآها فيه، تجلّى له الآب بصورة خاصّة على أنّه "غنيّ بالرحمة" (أفسس ٢/٤؛ البابا يوحنّا بولس الثاني: في الرحمة الالهيّة، ٢). والربّ يسوع جعل الرحمة مسلكاً جوهريّاً ورسالة في حياة الانسان وطوّبه عليها: "**طوبى للرحماء فإنّهم يُرحمون**" (متّى ٥/٧).

مريم، في بيت يوحنّا، أنشدت "رحمة اللّه من جيل إلى جيل" (لو ١/٥٠)، مستبقة اختبارها لها عندما شاركت في كشف رحمة اللّه ونشرها بتضحية قلبها مع ابنها المصلوب، وبقبول سرّ الفداء الالهيّ، حيث التقت العدالة الالهيّة السامية والمحبّة، فكانت الرحمة التي هي "**القبلة المطبوعة على جبين العدالة**" (مز ٨٥/١١). ولهذا لُقّبت مريم، أمّ اللّه، "**بأمّ الرحمة وسيّدة الرحمة وأمّ المحبّة الرحيمة**" (في الرحمة الالهيّة، ٩). ولهذا، لا سلام في داخل الانسان وبين الناس ولا غفران، بدون عدالة ملطفة بالرحمة، أي بدون إنصاف. عندما نقول **عدالة** نعني التساوي في الحقوق والواجبات. وعندما

نقول **رحمة** نعني مشاعر الانسانيّة والشفقة واحترام الشخص البشريّ وكرامته والمغفرة. العدالة والرحمة مجتمعتان تشكّلان **الانصاف**.

لقد طبع "إنجيل الرحمة" **القوانين الكنسيّة** بالانصاف، حتّى أنّها **تخضع** كلّها لقاعدة عامّة تنيرها: **"خلاص النفوس يجب أن يكون دائماً في الكنيسة الشريعة الأسمى"** (ق ١٤٤٠). كلّ قانون في الكنيسة ينبغي أن يكون في خدمة التدبير الالهيّ الذي يخلص كلّ إنسان بالمسيح. فالانسان هو طريق الكنيسة الأوّل والأساسيّ وغايتها الأولى، لأنّه مفتدى بدم المسيح. (البابا يوحنا بولس الثاني: فادي الانسان، ١٤).

لفظة **"انصاف"** تعني في الكتاب المقدّس **رحمة الله وحنانه** تجاه الانسان. وتعني **أمانته** لهما، مهما ابتعد عنه الانسان أو أساء إليه أو أنكره: "الربّ إله رحيم ورؤوف، طويل الأناة كثير الرحمة والوفاء، يحفظ الرحمة لألوف الأجيال، ويحتمل الاثم والمعصية والخطيئة، ولكنّه لا يترك شيئاً من دون عقاب" (خروج ٣٤/-٧). تصلّي الكنيسة: "الربّ رؤوف رحيم طويل الأناة كثير الرحمة، لا على الدوام يخاصم ولا للأبد يحقد ولا على حسب خطايانا عاملنا. بل كارتفاع السماء عن الأرض عظمت رحمته على الذين يتقونه" (مز ١٠٣/-١١). ويؤكّد **أشعيا غفران الله** المرتبط بعدله: "لذلك ينتظر الربّ المناسبة ليرحمكم، لأنّه إله عدلٍ لجميع الذين ينتظرونه" (اش٣٠/١٨).

بولس الرسول ينطلق من **"إنصاف المسيح"** (٢ كور ١٠/١)، الظاهر في وداعته وحلمه وهو ملك السماوات (فيليبّي ٢/-١١)، ويدعو كلّ صاحب سلطة أن يتّصف بالانصاف (أعمال ٢٤/٤). بولس نفسه يصف الانصاف بأنّه "عدالة طبيعيّة" بمعنى الشريعة المكتوبة في الضمائر بمعزل عن الدين:

"فالوثنيّون الذين بلا شريعة، إذا عملوا، بحسب الطبيعة، ما تأمر به الشريعة، كانوا شريعة لأنفسهم، هم الذين لا شريعة لهم، فيدلون على أن ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب في قلوبهم، وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم، فهي تارة تشكوهم وتارة تدافع عنهم" (روم ٢/١٤-١٥).

لهذا **أوصت الكنيسة دائماً القضاة** بأن يتحلّوا بالانصاف كصفة ضروريّة للقيام بواجباتهم في تطبيق الشرائع وتفسيرها. فالانصاف يفترض المحبّة، وهذه تمكّن القاضي من أن يجعلها الروح في قراراته، ويتجنّب الحرف الذي يقتل، ويأخذ بعين الاعتبار الشخص البشريّ ومقتضيات وضعه وظروفه. هذا الانصاف يحمله عادة على تطبيق القانون وتوزيع العدالة بأكثر إنسانيّة وتفهّم (البابا بولس السادس، في خطابه لقضاة الروتا الرومانيّة، ٨ شباط ١٩٧٣).
وأوصت الكنيسة أيضاً **المشترع** بالاستناد إلى الانصاف في صياغة القوانين وتفسيرها وتطبيقها، من أجل تلطيف شدّة القانون، بحيث يأتي ملائماً للحالات الراهنة، مستلهماً روح الرحمة والعطف والمبادىء الخلقيّة والقيم التي تشكل الأساس لقيام أيّ نظام اجتماعيّ على المستوى المحليّ والدوليّ (البابا يوحنّا بولس الثاني، رسالة إلى المؤتمر القانونيّ السادس عشر في جامعة اللاتران بروما، في ٢١ اذار ٢٠٠٢، الفقرة ٥- ٦).

في هذا الضوء ندرك الظلم الكبير والضرر في الحياة الاجتماعيّة والوطنيّة، عندما يسيّس القضاء أو عندما يمارسه الحكم الديكتاتوريّ والتوتاليتاريّ. وندرك أيضاً أبعاد "**إنجيل الرحمة**" المعلن يوم مولد يوحنّا المعمدان.

٢. التربية على الرحمة والانصاف كأساس للسلام

العائلة هي المدرسة الأساسيّة للتربية على الرحمة والإنصاف، لأنّ في

عائلة زكريّا وأليصابات ويوم مولد يوحنّا اعتلن إنجيلهما. "فلّما" ولدت أليصابات ابناً، سمع جيرانها وأنسباؤها أنّ اللّه أكثر رحمته لها ففرحوا معها، فكان **إنجيل الرحمة**. ولمّا طلب زكريّا لوحاً وكتب: "اسمه يوحنّا، انفتح للحال فمه ولسانه، وتكلّم ممتلئاً من الروح القدس وبارك اللّه" (انظر نشيده: لو ١/٦٧-٧٩)، فكان الانصاف.

في العائلة يجد الأفراد أوّل تلقين للفضائل الاجتماعيّة التي تنعش حياة المجتمع وتعمل على تطويره. عندما عيش أفراد العائلة في شركة الحياة وتقاسم الخيرات، يتوفرّ للاولاد **الأسلوب التربويّ** الأكثر واقعيّة. وفوق ذلك يشكّل اختبار الشركة والتقاسم المساهمة المهمّة والأساسيّة في أنسنة المجتمع. وعندئذ تتطوّر العلاقات بين أعضاء الجماعة العائليّة على أساس الكرامة الشخصيّة والاستعداد السخيّ للخدمة المجرّدة والتضامن عميق (ص٤٣٥).

الرحمة والانصاف ينبعان من فضيلتين أساسيّتين، المحبّة والعدالة اللتين تثمران سلاماً.

السلام هو ثمرة المحبّة وفعلها الخاصّ والمميّز. فلأنّ اللّه محبّة، هو إله السلام؛ ولأن محبّة المسيح بلغت ذروتها في صليب الفداء، فالمسيح أمير السلام. من يحبّ يزرع السلام.

والسلام ثمرة العدالة (أشعيا ٣٢/١٧)، لأنّ هذه تشمل كلّ مساحات الشخص البشريّ، فتؤمّن كلّ ما هو متوجّب له، وتضمن احترامه في كرامته، وتوجّه العيش معاً إلى الخير العام، وتعزّز حقوق الانسان. وبذلك تبني مجتمعاً سليماً، وتضع الأسس لانماء الأفراد والشعوب إنماءً شاملاً.

هذا السلام، بمفهومه اللاهوتيّ والاجتماعيّ، **أعلنه يوحنّا المعمدان**

ويناضل في سبيله، عندما كان يدعو الشعب إلى التوبة ويحرّضهم على إعطاء ثمار تليق بها، وعندما كان ينادي بتقويم سبل اللّه في بريّة هذا العالم (متّى ٣/٢ و٣ و٨). وبهذا تحقّقت نبوءة أبيه زكريّا يوم مولده: "سينير الجالسين في الظلمات وظلال الموت، ويقود خطانا في طريق السلام" (لو ١/ ٧٩).

■ ثانياً، أعياد هذا الأسبوع

تحتفل الكنيسة بعيد الحبل بلا دنس (٨ كانون الأوّل)

عندما تكوّنت مريم في حشا أمّها حنه بعد أن حبلت بها من زوجها يواكيم، عصمها اللّه منذ اللحظة الأولى من خطيئة آدم التي يرثها كلّ مولود لامرأة، والمعروفة **بالخطيئة الأصليّة**. ثمّ في حياتها الخاصّة "عصمت" نفسها من أيّ خطيئة فعليّة. هذه العقيدة أعلنها الطوباويّ البابا بيّوس التاسع في ٨ كانون الأوّل ١٨٥٤، وأيّدتها مريم الكليّة القداسة لبرناديت في ظهورات لورد، بعد أربع سنوات، في ١١ شباط ١٨٥٨، فلمّا سألت الصبيّة هذه "المرأة الفائقة الجمال" عن اسمها، أجابت: "أنا الحبل البريء من الدنس".

من سفر التكوين الى رؤيا يوحنّا يظهر **"سرّ المرأة"**، التي هي مريم، سرّ شخصها ورسالتها، ومعه ينكشف تصميم اللّه الخلاصيّ تجاه البشريّة (أمّ الفادي، ٤٧).

في سفر التكوين تظهر **المرأة**، رمز العذراء مريم، في عداوتها للحيّة – الشيطان، وفي اتّحادها بالمسيح الفادي ونسله: "واجعل عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها: فهو يسحق رأسك وأنت تصيبين عقبه" (تك ٣/١٥). **وفي رؤيا يوحنّا** تظهر **المرأة** في شخصها ورسالتها: "وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة ملتحفة بالشمس والقمر تحت قدميها، وعلى

رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً، حاملٌ تصرخ من ألم المخاض، وضعت ابناً ذكراً فخُطف إلى حضرة اللّه من وجه التنين العظيم الذي ألقي الى الارض (بموت المسيح وقيامته)، فغضب على المرأة ومضى يحارب سائر نسلها الذين يحفظون وصايا اللّه، وعندهم شهادة يسوع المسيح، واقفاً على رمل البحر" (رؤيا ١٢). مريم هي، وفق هذه الرؤيا، ممتلئة نعمة بالتحافها الشمس، وباسطة ملكها على الخلق أجمع بارتفاعها فوق القمر، وأسمى من الملائكة بإكليلها المرصّع وشريكة الفداء بآلام المخاض، وقاهرة الشيطان - التنّين العظيم، وتشفع بإخوة ابنها على شطّ هذا العالم.

عند دخول **مريم بيت** أليصابات، وابن اللّه المتجسّد جنين في حشاها، تقدّس يوحنّا وغسّل من الخطيئة الأصليّة، وامتلأت أليصابات من الروح القدس وتنبّأت عن الأمّ والجنين الذي في حشاها (لو ١/٣٩-٤٥). وعندما ولد يوحنّا، ومريم ما زالت هناك، امتلأ زكريّا أبوه من الروح القدس وتنبّأ بدوره عن ابنه الذي أرسله الربّ الاله افتقاداً لشعبه، وقياماً لعهد خلاص معه من جميع الأعداء والمبغضين، وأداة رحمة، وفقاً لوعده لأبي الشعوب ابراهيم (لو ١/٦٨-٧٤).

الحدث الأساس كان انتصار المرأة، مريم حوّاء الجديدة، على الشيطان. وهو انتصار تحقّق يوم تكوّنت مريم في حشا أمّها معصومة من الخطيئة، استباقاً لاستحقاقات من سيكون ابنها، الفادي الالهيّ، وتدشيناً لهذا الانتصار الدائم الذي سيحقّقه المخلّص في الجنس البشريّ بواسطة مريم. في الواقع كان يوحنّا أوّل المنتصرين وهو في بطن أمّه. وهو بدوره، كأوّل رسول في العهد الجديد المسيحانيّ، عهد انتصار النعمة، سيبدأ منذ مولده بأن "ينمو ويتقوّى بالروح القدس" (لو ١/٨٠).

بفضل امتلاء مريم من النعمة والروح القدس، أصبحت "بريئة من دنس الخطيئة الأصليّة، وبالتالي **شريكة الفداء** بانتصارها على الحيّة" (تك ١٣/ ٥) وعلى التنين (رؤيا ١٢)، **ووسيطة الخلاص** التي تحمل يسوع إلى البشر وتحملهم إليه، وفي كلّ ذلك هي "أيقونة الروح القدس"، وصورة الكنيسة الشاهدة للرحمة والممارسة لها في أسرار الخلاص، ولاسيّما في المعموديّة والتوبة والقربان.

وتصنع الكنيسة تذكار **قدّيسين شهدوا لانجيل يسوع المسيح**، إنجيل الرحمة والمحبّة.

القدّيسة برباره الشهيدة (٤ كانون الأوّل)

استشهدت سنة ٢٣٥ بقطع رأسها في عهد الوالي الرومانيّ مركيانوس. هي في الأصل وثنيّة من عائلة غنيّة، اهتدت للايمان بالمسيح واعتمدت وأمرت خدّام بيتها بتحطيم تماثيل الآلهة الأصنام، ونذرت بتوليتها للربّ يسوع، وراحت تشهد له، وتتحمّل ما أنزل بها والدها الوثنيّ والوالي الرومانيّ من آلام، وكان المسيح يشفيها ويبدّد جراحها وآثارها عن وجهها.

القدّيس سابا (٥ كانون الأوّل)

راهب ناسك وكاهن رقد بالربّ سنة ٥٣٢ في ضواحي أورشليم. امتاز بممارسة التقشّف والصلاة والتسامي بالفضائل. أقبل عليه الرهبان والنسّاك، فبنى لهم ديراً وأنشأ مناسك وبيوتاً لخدمة المرضى والفقراء بفضل ما سلّمته أمّه من مال بعد موت والده. انتدبه بطريرك أورشليم إلى الملك البيزنطيّ في القسطنطينيّة للتوسّط ورفع الظلم، فكان يلقى كلّ تجاوب وتكريم بفضل مهابته ووقاره.

القدّيس أمبروسيوس أسقف ميلانو (٧ كانون الأوّل)

ولد في فرنسا حيث كان والده والياً. وعادت به أمه إلى روما حيث ربّته تربية مسيحيّة صالحة مع شقيقته وشقيقه. دخل سلك الكهنوت وحاز ثقافة فلسفيّة ولاهوتيّة رفيعة، وأصبح أسقف ميلانو، فرعى شؤونها بالعدل والإستقامة. على يده ارتدّ أغسطينوس إلى التوبة. جمع بين فضيلتي التواضع والشجاعة، ولم يكن يهاب أحداً من عظماء الدنيا أيّاً كان في الدفاع عن الحقّ والعدل.

منع الملك تيودوسيوس دخول الكنيسة وحضور القدّاس بسبب قتله أبرياء في تسالونيكي قائلاً له: "لا يجوز لك، أيّها الملك، أن تدخل بيت الله بيدين ملطّختين بدم الأبرياء، ما لم تتقدم من سرّ التوبة وتعوّض عن الضحايا وعن إثمك".

ولمّا تحقّق الأسقف توبته مدّة ثمانية أشهر في قصره محروماً، أذن له بدخول الكنيسة وحضور الذبيحة الالهيّة، فكان التأثّر العميق بادياً على وجه الملك والشعب.

وامتاز أمبروسيوس بمحبّته للفقراء والمحتاجين، وكان شغوفاً بالعبادة للعذراء مريم. فألّف نشائد عديدة بمديحها.

■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تستعرض الخطّة الراعويّة **علامات أخرى للرجاء**، استكمالاً للتفكير معاً في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **"كنيسة الرجاء"**.

١. جاذبيّة الكنيسة (فقرة ٢٢)

من علامات الرجاء في حياتنا اليوم جاذبيّة الكنيسة بفضل قديّسيها الذين أتمّوا ارادة اللّه في مساعيهم ومشاريعهم، وصمدوا بوجه المصاعب والمحن والاضطهادات، وبفضل الأمانة للمسيح وانعكاس وجهه.

تظهر جاذبيّة الكنيسة في كونها تستقطب الشبّان والفتيات لتكريس حياتهم للمسيح والكنيسة، في الحياة الكهنوتيّة والرهبانيّة؛ وتغذّي المؤمنين بما تقدّم لهم في صلواتها وليتورجيّتها؛ وتعزّز نهضة روحيّة على مستوى الشبيبة في الانتساب إلى الأخويّات ومختلف الحركات والمنظّمات الرسوليّة، وفي القيام بنشاطات متنوّعة في إطار الرعيّة والأبرشيّة والمجتمع.

وتبقى الكنيسة، بفضل رعاتها، ملاذاً ومرجعاً يهرع إليه المؤمنون لسماع كلام الحقّ، وللدفاع عن الانسان وحقوقه، وكرامته، وللذود عن سيادة الوطن وشرفه.

٢. توق إلى التجدّد (٢٣)

ومن علامات الرجاء هذا التوق إلى التجدّد الذي نشهده على المستوى الشعبيّ وبخاصّة على مستوى الشبيبة، التوّاقين إلى حياة روحيّة اصيلة على خطى القدّيسين اللبنانيين شربل ورفقا ونعمة اللّه.

تقتضي الخطّة الراعويّة إيجاد السبل لتعزيز هذا التجدّد وجعله شموليّاً.

٣. مبادرات تضامن (فقرة ٢٤)

في قلب محنة الحرب والهجرة والتهجير، سطعت علامة رجاء على الصعيد الاجتماعيّ في مبادرات التضامن التي قام بها أفراد ومنظّمات

ومؤسّسات. وكانت مشاريع وحملات تبرّع شملت المدارس والجامعات والرعايا. وبسبب هذا الوعي، راح المربّون يوجّهون الشبيبة إلى نشاطات تطوّعيّة استكمالاً لتنشئتهم.

تسعى الخطّة الراعويّة إلى رسم مساحات للتضامن، بحيث يشعر الجميع أنّنا مترابطون بعضنا ببعض، وأنّنا مسؤولون كلّنا عن كلّنا. فلا بدّ من تنظيم خدمة المحبّة والتضامن، وتعزيز حضارة التقاسم.

***

صلاة

أيّها القدّيس يوسف، حارس يسوع وعريس مريم البتول، لقد انصرفت بكليّتك إلى خدمة الكنزين الأغليين، يسوع ومريم، بالعمل اليدويّ والصلاة، بالمحبّة والتعب. اليك نلجأ لتعيننا في تحمّل مسؤوليّاتنا في العائلة والكنيسة والمجتمع. هب لنا الادراك أنّنا لسنا لوحدنا في العمل والمسعى، فنعرف كيف نكتشف حضور يسوع إلى جانبنا، ونقبله بالكلمة والنعمة، ونشهد له في المحبّة التي تطبع شؤوننا الزمنيّة. أعطِ كلّ مسيحيّ مخلص، حيثما يوجد، أنّ يتقدّس نشاطه بالمحبّة والصبر والعدالة والخير، فتنزل على عالمنا غزيرة عطايا اللّه الذي منه كلّ صلاح وخير، له المجد إلى الأبد، آمين (من صلاة الطوباويّ البابا يوحنّا الثالث والعشرين).

الأحد ١٧ كانون الأوّل ٢٠٠٦

البيان ليوسف

اللّه في اوسع كشف دائم لمقاصده الخلاصيّة

من إنجيل القدّيس متّى ١/ ١٨-٢٥

قال متّى الرسول: أمّا ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا: لما كانت أمّه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يسكنا معاً، وجدت حاملاً من الروح القدس. ولمّا كان يوسف رجلها بارّاً، ولا يريد أن يشهّر بها، قرّر أن يطلّقها سرّاً. وما إن فكّر في هذا حتى تراءى له ملاك الربّ في الحلم قائلاً: «يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، فالمولود فيها إنّما هو من الروح القدس. وسوف تلد ابناً، فسمّه يسوع، لأنّه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم». وحدث هذا كلّه ليتمّ ما قاله الربّ بالنبي: «ها إنّ العذراء تحمل وتلد ابناً، ويدعى اسمه عمّانوئيل، اي اللّه معنا». ولمّا قام يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الربّ وأخذ امرأته. ولم يعرفها، فولدت ابنه. وسمّاه يسوع.

***

الملاك الذي بشّر زكريّا ومريم في اليقظة، هو إيّاه بشّر يوسف في الحلم. هكذا تكتمل البشارات الثلاث التي أوحى اللّه فيها ذاته المتجليّة في الكلمة المتجسّد يسوع المسيح، وكشف سرّ الانسان كمعاون لعمل اللّه الخلاصيّ في شخص يوحنّا المعمدان ومريم ويوسف، وأبان أنّ العائلة هي المكان الذي يتواصل فيه الوحي وإعلان مقاصد اللّه.

■ أوّلاً، مضامين النصّ الانجيليّ

١. تكامل البشارات الثلاث

أوحى اللّه ذاته بشكل متكامل وكشف سرّ الانسان:

في البشارة لزكريّا بمولد يوحنّا (لو ١/٥-٢٥)، **أوحى اللّه ذاته** أنّه صادق في الوعد، ومستجيب لصلاة الأبرار، ومفتقد شعبه السائر في ظلمات هذه الدنيا، وإله غنيّ بالرحمة. **وكشف سرّ الانسان** بشخص يوحنّا المعمدان، هو الصوت الذي يسبق الكلمة ويعبّر عنها، والبشير الناطق بكلام اللّه، والفجر الذي يعكس اقتراب طلوع الشمس، والسابق الذي يمهّد طريق المسيح إلى القلوب والعقول.

في البشارة لمريم بتجسد ابن اللّه وأمومتها له (لو ١/٢٦-٣٧)، **أوحى اللّه ذاته** بشخص المسيح أنّه إله واحد مثلّث الأقانيم: آب خالق بحبّه، وابن مخلّص بتجسّده، وروح قدس محي ومقدّس بحلوله، وأنّ المسيح كلمة اللّه المتجسّد يوطّد في الأرض ملكه الدائم إلى الأبد، هو ملكوت اللّه الظاهر في الكنيسة السر والشركة والرسالة، مبتدئاً في التاريخ على الأرض ومكتملاً بالأبديّة في السماء. **وكشف اللّه سرّ الانسان** بشخص المرأة مريم التي هي زوجة تحبّ، وأمّ تعطي الحياة، وعذراء طاهرة تقدّم ذاتها بسخاء وتجرّد من دون حساب، وأمّ نقيّة روحيّة تشفع وتحمي وتواكب الحياة البشريّة من البداية حتى النهاية، وأنثى تؤنسن المجتمع وتنعش البيت كما الروح ينعش الجسد.

في البشارة ليوسف بأبوّته ليسوع المخلّص وبتوليّة مريم خطّيبته (متى ١/١٨-٢٥)، **أوحى اللّه** ذاته أنّه بشخص الابن الذي يصبح إنساناً اسمه في التاريخ يسوع، أي "اللّه الذي يخلّص شعبه من خطاياه"، ويتضامن مع

كلّ إنسان في شتّى مراحل حياته، ويحضر بقربه في كلّ ظروفه وحالاته بكلمته ونعمته ومحبّته الى منتهى الدهر، لكونه "عمّانوئيل- إلهنا معنا".
وكشف سرّ الانسان بشخص يوسف الذي هو زوج أمين للوعد يتعهّد شريكة الحياة بإخلاص ويحمي كرامتها، وأب محبٌ يتفانى بالعمل في إعالة الأسرة ورعاية الحياة البشريّة، ورجل مسؤول يحافظ على الكنزين: الأمّ وابنها، ومعطيهما هويّة عائليّة واسماً في سجلّ العائلة البشريّة، ومربٌّ لابنه بالمثل والعمل.

٣. الحبل بلا دنس الأساس البعيد للبيان ليوسف

احتفلت الكنيسة في الأسبوع الماضي بعيد الحبل بلا دنس الذي يأتى بمثابة أساس للبيان ليوسف، تكامل مع البشارة لمريم.

البراءة التي أعلن بها الطوباويّ البابا بيّوس التاسع عقيدة الحبل بلا دنس في ٨ كانون الأوّل ١٨٥٤، وعنوانها: "**اللّه غير المدرك**" (Ineffabilis Deus)، قالت: "إنّ اللّه غير المدرك اختار مرّة منذ البدء وقبل الدهور أمّاً لابنه الوحيد الذي سيولد منها بالجسد وهو المولود من قلب الآب مساوياً له في جوهر الألوهة، وجعلها فوق جميع الخلائق، متقدّمة على الملائكة وجميع القدّيسين، وأغناها بغزارة المواهب الفائضة من كنز الألوهة، وحرّرها من كلّ دنس خطيئة وجمّلها بكمال البراءة والقداسة، وعصمها من وصمة الخطيئة الأصليّة ونصرها على الحيّة القديمة، وزيّنها ببهاء القداسة الكاملة". ويضيف البابا في براءته: "لمجد الثالوث الأقدس، ولاكرام لائق بالعذراء والدة الاله، ولتعزيز الايمان الكاثوليكيّ والدين المسيحيّ، إنّا بسلطان سيّدنا يسوع المسيح والرسولين بطرس وبولس وبسلطاننا نحدّد ونعلن **العقيدة بأنّ العذراء مريم الكليّة الطوبى**، بنعمة خاصّة وامتياز من اللّه القادر على

كلّ شيء، **حفظت من كلّ دنس الخطيئة الأصليّة منذ اللحظة الأولى للحبل بها**، استباقاً لاستحقاقات المسيح يسوع مخلص الجنس البشريّ. إنّها عقيدة موحاة من اللّه، ينبغي على جميع المؤمنين الايمان بها بثبات وشكل دائم".

في البيان ليوسف انكشف الوحي الالهّي بشأن عقيدة الحبل بلا دنس بطريقة غير مباشرة.

مريم زوجة يوسف، التي لم تنتقل بعد إلى بيته ولم تساكنه، هي العذراء الحبلى من الروح القدس بيسوع "الاله الذي يخلّص شعبه من خطاياه". **المرأة العذراء** نبوءة نجدها في الصفحة الأولى من سفر التكوين، حيث تظهر مع ابنها بدون رجل: "أجعل عداوة بينكِ (الحيّة القديمة – الشيطان) وبين المرأة، بين نسلكِ ونسلها، هو يسحق رأسكِ، وأنت تترصّدين عقبه" (تك ٣/ ١٥). يكشف أشعيا مضمون النبوءة: "يؤتيكم الربّ آية، ها إنّ العذراء تحبل فتلد ابناً وتدعو اسمه عمّانوئيل" (أشعيا ٧/ ١٤). **ونجد رموزها العديدة** في كتب العهد القديم: **العلّيقة المتّقدة** التي رآها موسى تلتهب ولا تحترق، وكان منها نداء اللّه لخلاص شعبه (خروج ٣/١-١١) ؛ **عصا هارون** التي ابتلعت عصيّ سَحَرَة مصر التي إنقلبت تنانين (خروج ٧/ ١٢)؛ **جزّة جدعون** التي ملأها الندى (قضاة ٦/ ٣٨)؛ **العروس البستان المقفل والينبوع المختوم** (أناشيد ٤/ ١٢).

كانت أنّ مريم الأمّ العذراء تحفظ في صميم قلبها **الرغبة في تكريس ذاتها للّه وحده تكريساً كاملاً**، بحيث تقف ذاتها كليّاً له وحده، كما نفهم من سؤالها للملاك: "كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً" (لو ١/ ٣٤). لكنّ اللّه سبق وكرّسها له في اللحظة الأولى للحبل بها، تكريساً عصمها من خطيئة

آدم الأصليّة. واليوم يحقّق رغبتها في تكريس بتوليّتها له بصيرورتها حصراً أمّاً لابن اللّه بفعل الروح القدس (البابا يوحنّا بولس الثاني: حارس الفادي، ١٨). أمومتها لابن اللّه بالجسد هي ثمرة تكريسها المزدوج المصدر: تكريس من اللّه وتكريس منها.

مريم زوجة يوسف هي المرأة الحامل بفعل الروح القدس: "لا تخف يا يوسف أن تأخذ مريم امرأتك، لأنّ الذي ولد فيها هو من الروح القدس" (متّى ١/٢٠). لقد رأها يوحنّا الرسول في بهاء سرّها ورسالتها كأمّ المسيح الاله وأمّ جسده السريّ، الكنيسة: "ظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة ملتحفة بالشمس، والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً، حاملٌ تصرخ من ألم المخاض. وظهرت آية أخرى: تنيّن كبير أشقر له سبعة رؤوس وعشرة قرون... وقف أمام المرأة التي توشك أن تلد، حتى إذا وضعت ولدها ابتلعه" (رؤيا ١٢/١-٤).

رؤيا يوحنّا ترجمت نبوءة سفر التكوين (٣/١٥)، وافتتحت نبوءة العهد الجديد: "يا امرأة هذا ابنك" (يو ١٩/٢٦)، وهي أمومة مريم بالنعمة للكنيسة، جسد المسيح السريّ، وللجنس البشريّ؛ وكشفت أنّ الكنيسة هي على صورة مريم، عذراء وأمّ، أمّ ومعلّمة؛ وأظهرت بُعدها النهيويّ - الاسكاتولوجيّ، أعني انتصار الكنيسة الدائم على التنّين وسائر قوى الشرّ: "أبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متّى ١٦/١٨)، وهي قوى الشر "القائمة على رمال بحر هذا العالم، تحارب سائر نسل المرأة الذين يحفظون وصايا اللّه، والذين لهم شهادة يسوع" (رؤيا ١٢/١٧-١٨).

في لوحة البيان ليوسف، انكشف سرّ الرجل في عمل اللّه الخلاصيّ، إلى جانب المرأة. حاول يوسف أنّ يخلي سبيل مريم سرّاً (متّى ١/١٩)، بعد

أن قرّر انسحابه لئلاّ يعرقل الخطّة الالهيّة التي باتت تتحقّق في مريم. لكنّه أدرك أن الخطّة الالهيّة تشمله هو أيضاً كزوج لمريم وأبٍ شرعيّ ليسوع ومربٍّ له.

فاللّه يريده، بقوّة العهد الزوجيّ، شريكاً لمريم في كرامتها السامية، ورفيقاً لحياتها، وشاهداً لبتوليّتها، وحارساً لشرفها. ويريده أباً لابنه الالهيّ، لا بالانجاب، بل بإعطاء الاطار البشريّ لأسرة ابن اللّه. فهو الأب بالاصالة البشريّة وحامل كلّ دور الأب في العائلة. ويدعوه إلى كمال حبّه الزوجيّ لمريم، مجدّداً إيّاه بالروح القدس، فوهب يوسف كلّ ذاته وحياته وعمله لمريم، وحوّل دعوته البشريّة لتأسيس عيلة إلى تقدمةً ذاته وقلبه وجميع طاقاته وبذلها في خدمة المخلّص المولود في بيته (حارس الفادي، ٨ و١٠ و٢١). هكذا، بطاعة الايمان أخذ يوسف مريم إلى بيته واحترم تكرسّها المطلق للّه "فلم يعرفها، وولدت ابنها البكر" (متّى ١/ ٢٥).

٢. القدّيس يوسف معلّم ثقافة السلام

عاش يوسف البار في **مخافة اللّه**، ساعياً إلى مرضاته، ما جعله في حالة إصغاء دائم لما يقول الربّ ويوحي، في اليقظة وفي الحلم. فاتّصف **بالحكمة** التي مكّنته النظر إلى إحداث حياته من منظار اللّه: "لمّا قام من نومه، صنع كما أمره ملاك الرّبّ، فأخذ مريم امرأته إلى بيته، ولم يعرفها، فولدت ابنها البكر، يسوع". إنّها **ثقافة السلام**.

لقد حمى يوسف كرامة مريم خطيبته البريئة، وهي البتول الحبلى بيسوع بقوّة الروح القدس، من دون أن يشكّ بشأن حبلها. جابه النزاع بتجنّب اللجوء إلى القضاء، وفكّر بتخلية مريم سرّاً. هذا الموقف يشكلّ الأساس في بناء السلام. جميع القوانين تدعو إلى الحلول السلميّة مثل المصالحة

والتحكيم والتسوية، قبل الذهاب إلى المحاكمة القضائيّة البغيضة. لم يشكّ يوسف ببراءة مريم، فسعى إلى حمايتها.

السلام يوجب حماية الأبرياء، على مستوى الأفراد والشعوب. في كثير من الظروف السكّان المؤمنون يُضربون ويُستهدفون في النزاعات المسلحة. يُقتلون ويُهجرون من بيوتهم وأراضيهم بطريقة وحشيّة. وتُعطّل مصالحهم وتُخرّب مؤسّساتهم، وتقطع طرقاتهم، وتُدمّر جسور معابرهم. هذا ما عشناه أخيراً في لبنان في الحرب المدمّرة التي فرضت عليه صول ٣٣ يوماً في تمّوز خ آب ٢٠٠٦. إنّ الشرع الدوليّ الانسانيّ يقضي بحماية الأبرياء، فيجب احترامه. كم العالم بحاجة إلى أنسنة!

ونحن أيضاً المؤتمنين على السلام، عطيّة اللّه للبشريّة بشخص يسوع المسيح، الذي نستعدّ لاستقباله في قلوبنا، مدعوّون إلى التشبّه بفضيلتي القدّيس يوسف البتول، الحكمة ومخافة اللّه. **بالحكمة** نستلهم أنوار الروح القدس لننظر إلى أحداث حياتنا وإلى الأشخاص من منظار اللّه، بروح الحنان والانصاف. **وبمخافة اللّه** نسعى في كلّ موقف وقرار وعمل إلى مرضاة اللّه، مدركين أنّنا اليه تعالى نسيء عندما نرتكب الاساءة الى الانسان. الحكمة ومخافة اللّه تحميان الأبرياء، وتبنيان ثقافة السلام.

■ ثانياً، وجوه عاشت في الحكمة ومخافة اللّه

من بين القدّيسين المعاصرين الجدد، نذكر وجهين من العلمانيين المؤمنين بالمسيح، بلغا إلى القداسة من خلال نشاطهما الزمنيّ في الطبّ والادارة المدنيّة، وعزّزا ثقافة السلام.

القدّيس جوزبّي موسكاتي (Giuseppe Moscati) (١٨٨٠-١٩٢٧)

أعلنه قدّيساً البابا يوحنّا بولس الثاني. هو طبيب ورئيس قسم في مستشفى مدينة نابولي. تربّى في عائلة مسيحيّة حقّة، اختبر الألم الخلاصيّ بوفاة الوالد عندما كان طالباً جامعيّاً، وبوفاة شقيق له بعمر ٣٢ سنة بداعي المرض. عاش الدعوة إلى القداسة في حياته العلمانيّة، وقال عنه البابا يوحنّا بولس الثاني إنّ هذا القدّيس يدعو العلمانيين إلى اعتبار دعوتهم إلى القداسة كأبناء للكنيسة.

الطوباويّ ألبرتو مارفيلّي (Alberto Marvelli) (١٩١٨-١٩٤٦)

أعلنه البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويّاً في ٥ أيلول ٢٠٠٤. تربّى في عائلة من ستة أولاد، وانتمى إلى منظّمة العمل الكاثوليكيّ، فإلى الحزب الديموقراطيّ المسيحيّ في إيطاليا، وانتخب عضواً في مجلس بلديّة مدينة ريميني (Rimini). خدم المحبّة أثناء الحرب الكونيّة الثانية اتّخذ مواقف إيمانية، وجعل من القدّاس اليوميّ ينبوع نشاطه الكنسيّ والاجتماعيّ والسياسيّ مقتنعاً بضرورة العيش بشكل كامل كابن للّه في التاريخ. توفيّ بحادث سير، وهو بعمر ٢٨ سنة.

■ ثالثاً، الخطة الراعويّة

وفي زمن المجيء والميلاد، وهو زمن الرجاء، تواصل الخطّة الراعويّة التفكير معاً، على مستوى الجماعات في الكنيسة والمجتمع، حول "**كنيسة الرجاء**" وهو عنوان النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، فنفكّر سويّة في **علامات الرجاء**.

١. الرسالة في المحيط المشرقيّ (فقرة ٢٥)

يذكّرنا النصّ المجمعيّ أنّ للمسيحيين في هذا الشرق، الذي تدين أكثريّة سكّانه بالدين الاسلاميّ، رسالة لها جذورها التاريخيّة ومبرّراتها، ولو كانت محفوفة بالأخطار. إنّ حضورهم هو للشهادة والرسالة والخدمة. هذا ما ردده بطاركة الشرق الكاثوليك في رسالاتهم الراعوية المشتركة. لهذه الثلاثة كان خيارهم في هذا الشرق، والتزامهم بالعيش المشترك القائم على الاحترام والحوار والتعاون لبناء وطن يسوده الحقّ والعدل.

تقتضي الخطّة الراعويّة من الجماعات اتّخاذ مبادرات عمليّة لأداء الشهادة والقيام بالرسالة وتأدية الخدمة، في ضوء إنجيل اليوم.

٢- وعي المسيحيين العوام دورهم في حياة الكنيسة ورسالتها (فقرة ٢٦)

إنّ هذا الوعي آخذ في التنامي، ولاسيّما على مستوى الشبيبة والمرأة. يشير النصّ المجمعيّ إلى مساهمة الأخويّات والمنظّمات الرسوليّة، ومعاهد التثقيف الدينيّ، ووسائل الاعلام الدينيّة، في تنامي هذا الوعي.

تقتضي **الخطّة الراعويّة** إيجاد السبل لتعزيز الانتماء الكنسيّ، على مستوى المشاركة في حياة الكنيسة ورسالتها، والتشجيع على القيام بالمهمّات الكنسية على صعيد الرعيّة والأبرشيّة واللجان الأسقفيّة الراعويّة. يبقى القدّيس يوسف البتول النموذج والمثال.

***

صلاة

أيّها القدّيس يوسف، شفيع الكنيسة، أنت العامل الصامت في كرم الربّ، من أجل حراسة الكنزين الأغليين مريم ويسوع، مساهماً في حياة ورسالة الكنيسة الناشئة في الناصرة، بارك كنيستنا المحليّة، في الرعيّة والأبرشيّة والوطن، اعضدها دائماً وسرّ بها إلى الأمام في طريق الأمانة للانجيل. أعطِ أبناءها وبناتها نعمة الالتزام في حياتها ورسالتها، على مثالك. ساعدنا لكي نصغي إلى إلهامات الروح. إحمِ السلام في العالم، هذا السلام الذي يستطيع وحده ضمانة ترقّي الشعوب، وتحقيق الآمال البشريّة. نسألك ذلك من أجل خير البشريّة ورسالة الكنيسة ومجد الآب الذي اختارك والابن الذي شرّفك بأبوّته والروح القدس الذي قاد خطاك وقراراتك، للاله الواحد الحقّ كلّ مجد وإكرام. آمين (مقتبسة من صلاة البابا بولس السادس).

نسب يسوع

أنسنة الحياة البشريّة والمجتمع

من إنجيل القدّيس متّى ١/١-١٧

قال متّى الرسول: كتاب ميلاد يسوع المسيح، إبن داود، إبن ابراهيم: ابراهيم ولد إسحق، إسحق ولد يعقوب، يعقوب ولد يهوذا وإخوته، يهوذا ولد فارص وزارح من تامار، فارص ولد حصرون، حصرون ولد آرام، آرام ولد عميناداب، عميناداب ولد نحشون، نحشون ولد سلمون، سلمون ولد بوعز من راحاب، بوعز ولد عوبيد من راعوت، عوبيد ولد يشّى، يشّى ولد داود الملك.

داود ولد سليمان من امرأة أوريّا، سليمان ولد رحبعام، رحبعام ولد أبيّا، ابيّا ولد آسا، آسا ولد يوشافاط، يوشافاط ولد يورام، يورام ولد عوزيّا، عوزيّا ولد يوتام، يوتام ولد أحاز، آحاز ولد حزقيّا، حزقيّا ولد منسّى، منسّى ولد آمون، آمون ولد يوشيّا، يوشيّا ولد يوكنيا وإخوته، وكان السبي إلى بابل.

بعد السبي إلى بابل، يوكنيا ولد شألتيئيل، شألتيئيل ولد زربابل، زربابل ولد أبيهود، أبيهود ولد إلياقيم، إلياقيم ولد عازور، عازور ولد صادوق، صادوق ولد آخيم، آخيم ولد إليهود، إليهود ولد إليعازر، إليعازر ولد متان، متان ولد يعقوب، يعقوب ولد يوسف رجل مريم، التي منها ولد يسوع، وهو الذي يدعى المسيح.

فجميع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً.

***

نسب يسوع إلى العائلة البشريّة يعني أنّ ابن اللّه، الكلمة الالهيّ، صار إنساناً بين الناس، مواطناً في هذا العالم، خاضعاً للشريعة، لكنّه **مخلّص العالم**. نسبه يبيّن مسيحانيّته: فهو "**مشتهى الأمم**" الذي انتظرته الشعوب وتاقت إليه وصلّت: "ذابت نفسي شوقاً إلى خلاصك" (مز ١١٨/ ٨١). الأسماء المدوّنة في شجرة نسب يسوع ترمز إلى كل. الشعوب في كلّ حالاتها: المؤمنة والوثنيّة والبارّة والخاطئة. هذا يعني أنّ يسوع المسيح هو الألف والياء، وقلب التاريخ، ومحور البشريّة. من سبقه ذاب في انتظار مجيئه، ومن تلاه يذوب في انتظار تجلّيه. فمنذ البدء إلى منتهى الأزمنة، لم يعرف الانتظار أيَّ توقّف إلاّ في المرحلة التي عاشها المسيح على الأرض برفقة تلاميذه. فيحقّ لجسد المسيح بكامله، وهو يئنّ في هذه الحياة، أن يرتّل مع صاحب المزامير "تذوب نفسي إلى خلاصك، واترجّى أقوالك، "ذلك أنّ" في المسيح قال اللّه لنا كلّ شيء" (القديس يوحنا الصليبي).

كونه مخلّص العالم، فهو يعيد إليه بهاء الخلق، ويعيد إلى الانسان إنسانيّته.

■ أوّلاً، مفهوم نسب يسوع

١. يسوع ابن ابراهيم وابن داود

يفتتح متّى الرسول إنجيله هكذا: "نسب يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم" (١/ ١)، وينهي بالقول "ويعقوب ولد يوسف زوج مريم التي وُلد منها يسوع، الذي يقال له المسيح" (متّى ١/ ١٦). أربعة أسماء تحدّد هوية يسوع: ابراهيم وداود ويوسف ومريم.

ابراهيم يعني وعود اللّه له التي تحقّقت في المسيح: **فابراهيم** هو أبو المؤمنين، وأبو أمّة تحافظ على فكرة الاله الحقّ وعبادته ومنها يخرج خلاص

الجنس البشريّ. **المسيح** هو رأس البشريّة المفتداة، وهو علّة الخلاص الوحيدة للجنس البشريّ بكامله. من ابراهيم ونسله الذي يبلغ ذروته في المسيح، ينتشر الخلاص المسيحانيّ الى جميع الشعوب: "وأنا أجعلك أمّة كبيرة وأباركك وأعظّم اسمك، وتكون بركة لجميع أمم الأرض" (تك ١٢/١-٢). وهكذا يستمرّ ويتوضّح وعد الله لأبوينا الأوّلين: "واجعل عداوة بينك (الحيّة - الشيطان) وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، فهو يسحق رأسك وأنت تصيبين عقبه" (تك ٣/١٥). هو أوّل إعلان للخلاص الذي تحقّق في مريم، حوّاء الجديدة، وفي المسيح. يعتبر **ابراهيم** كالأساس في بنيان تاريخ الخلاص، **ويسوع** حجر الزاوية .

داود هو الملك التيوقراطيّ بامتياز، الشاعر والنبيّ. رجل حسب قلب اللّه (١ صموئيل ١٣/١٤)، ورمز المسيح الذي سيولد من نسله ويُعرف بأنّه "ابن داود"". فيه تمتّ المواعيد لداود على لسان ناتان النبيّ: "اذا تمّت أيّامك واضطجعت مع آبائك، أقيم من يخلفك من نسلك الذي يخرج من صلبك، وأنا أثبّت عرش ملكه إلى الأبد" (٢ صموئيل ٧/١٢-١٣).

يوسف ومريم بزواجهما البتوليّ هما والدا المسيح، ابن الاله المتجسّد، الذي هو الوعد لابراهيم ولداود، ومحقّق هذا الوعد بشخصه التاريخيّ وبجسده السرّي الذي هو الكنيسة.

المراحل الثلاث في لوحة نسب يسوع تدلّ إلى أنّه محور تاريخ الخلاص:

في المرحلة الأولى من ابراهيم الى داود، كان الوعد لابراهيم (٢٠٠٠ سنة قبل المسيح) وتواصل مع داود من سنة ١٠٤٢ الى ٩٧٢ ق م. في **المرحلة الثّانية** من داود إلى سبي بابل كانت حملات نبوكدنصر ملك

الأشوريين ضدّ يهوذا وأورشليم ما بين ٥٩٧ و٥٨٢، وكان نفي الشعب الى بابل، وقد عاتبه الله على خيانته للعهد. ولكن في الواقع، ظلّ الربّ في وقت المحنة حاضراً، واستمر بوفائه العجيب يعمل على انهاض شعبه من عثرته، كما وعد على لسان ارميا: "اجعل نظري على أبناء يهوذا الذين أرسلتهم من هذا المكان إلى أرض الكلدانيين لخيرهم، واجعل عينيَّ عليهم لخيرهم، وأرجعهم إلى هذه الأرض، وأبنيهم ولا أهدمهم، وأغرسهم ولا أقتلعهم، وأعطيهم قلباً ليعرفوا أنّي أنا الربّ، ويكونون لي شعباً وأكون أنا لهم إلهاً، لأنّهم يرجعون إليّ بكلّ قلوبهم" (ارميا ٢٣/٥-٧). وفي **المرحلة الثالثة** من سبي بابل إلى المسيح، اكتملت كّل الوعود وتحقّقت في المسيح، كغاية لكلّ شيء.

٢. أنسنة الانسان بالفداء والخلاص

بزواج يوسف ومريم البتوليّ انتمى ابن اللّه المتجسّد إلى العائلة البشريّة، وبالاحصاء الذي أجري لسكّان الأرض في عهد أغسطس قيصر، أحصي يسوع المسيح في الأسرة البشريّة (لو ٢/١-٧). لقد حمل للبشريّة **الأنسنة الأصيلة**، وما زال يؤنسن كلّ أبعاد حياتها: الاقتصاد، السياسة، الثقافة، العائلة، المجتمع، التربية، الاعلام. نستند في هذا العرض إلى محاضرة للكردينال بول بوبار (Poupard) رئيس المجلس الحبريّ للثقافة، "**أنسنة جديدة للالف الثالث**": ألقاها في مؤتمر الأونسكو الدوليّ (٣-٤ ايار ١٩٩٩).

الأنسنة (Humanisme) هي أنّ كلّ إنسان محبوب من اللّه ومدعوّ ليصبح دائماً أكثر "على مثال صورة ابنه" (روم ٢٩/٨). كلّ تعليم الكنيسة الاجتماعيّ يدعو إلى تعزيز **الأنسنة الكاملة**: إنّها انفتاح الانسان على المطلق الذي

يشكلّ دعوة الحياة البشريّة (البابا بولس السادس: ترقّي الشعوب، ٤٢)؛ وهي تغنّي الكرامة البشريّة إذا توفّرت لدى كلّ إنسان، عندما تعلن له الكنيسة خلاص اللّه، وتقدّم له الحياة الالهيّة، وتنقلها إليه بواسطة الاسرار الخلاصيّة، وتوجّه حياته بوصايا حبّ اللّه والقريب (البابا يوحنّا بولس الثاني: السنة المئة، ٥٥)؛ وتثمر ثقافة جديدة للحياة، عندما يستنير الانسان بجدّة الانجيل، فيكتشف في ضوئه، بالعقل والاختبار، معنى كيانه ووجوده، ويدخل في حوار مع المؤمن وغير المؤمن (إنجيل الحياة ٨٢)، فيحقّق جميع الناس ملء دعوتهم لأن يصيروا "شركاء في الميراث والجسد والوعد في يسوع المسيح حسب البشارة" (أفسس ٣/٦)، "ويصبحوا الانسان الراشد، ويبلغوا القامة التي توافق كمال المسيح" (أفسس ٤/١٣).

أنسنة الاقتصاد

الانسان في نظرة ماركس هو المنتج والمستهلك. إنّها نظرة تحطّ من كرامته، فتهدم الرجل والمرأة في طبيعتهما العميقة. ندّد البابا لاوون الثالث عشر، في رسالته العامّة "الشؤون الحديثة (١٨٩١) باستغلال الانسان للانسان استغلالاً يرفع من شأن المادّة ويحطّ من قدر الانسان من خلال عمله بالذات". إنّنا نرى الطبيعة تتلوث والانسان يتشوّه. وعندما يتحوّل الانسان الى مجرّد قدرة اقتصاديّة، يصبح شيئاً مجرّداً من الشخصيّة، وبالتالي ليس أخاً بل وحش للانسان، حسب المقولة الوثنيّة القديمة. من هنا التفاوت الاجتماعيّ المتنامي الذي يجعل الأغنياء أكثر غنى والفقراء أكثر فقراً.

أنسنة السياسة

السياسة تحديداً هي خدمة الخير العام، وحسب تعبير البابا بيّوس

الثاني عشر هي "حقل المحبّة الأوسع". أصبحت الحقل المقفل للأنانيّات المقتدرة التي تسحق ضعف الضعفاء، وباتت ممارسة السلطة حكراً لفئات أو مدن أو دول. وإذا بالمواطنين، المنتزعة حقوقهم الأساسيّة، يعيشون في خيبة مرّة، على الرغم من إعلان الشرعة العالميّة: "إن النّاس يولدون ويمكثون أحراراً ومتساوين في حقوق الانسان".

أنسنة الثقافة

الثقافة في الأساس هي روح شعب: إنّها من حياة الانسان ومن صنعه ومن أجله. هي كيفيّة عيشه وتفكيره، ونوعيّة وجوده، وطريقة تواجده في مكان وبيئة محدّدين. يعيش الإنسان حياة إنسانيّة حقّة بفضل الثقافة. أمّا اليوم، فأصبحت الثقافة المسيطرة، التي يسمّونها بفخر الحداثة، خليطاً من التكنولوجيا والاستهلاكية والسعي الى اللذة. إنها انتصار روح الفرديّة، والسعي الجنونيّ إلى الكسب أكثر، بدون أيّ اهتمام بالصيرورة. إنّها فصل لذّة الجنس عن فرح الابوة والامومة. نحن امام اولاد بدون حب، وامام حب بدون اولاد.

أنسنة العائلة

العائلة قلب المجتمع ومهد الانسانيّة. "قل لي ما عائلتك أقول لك من أنت". لا يكفي أن تكون ابن رجل وامرأة، بل أن تعرف وتشعر بأنّك محبوب كثمرة حبّهما، الذي هو عطيّة من اللّه. كثيرون من الأولاد يموتون من اليتم على أنواعه، كموت أحد الوالدين أو انفصالهما. "لا أحد يستطيع أن يعيش بدون حبّ"، كما يؤكّد البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته "فادي الانسان". يموت رجال ونساء هذا الزمن لأنّهم غير محبوبين: فوسائل منع الحمل والاجهاض والاباحيّة الجنسيّة بكلّ أشكالها والخلاعة والمخدّرات،

كلّها تستصرخ فقدان الحبّ. الأنسنة الجديدة هي ثمرة نداء المسيح في الانجيل: "أحبّوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم" (يو ١٣/ ٣٤).

أنسنة المجتمع

الانسان كائن شخصيّ واجتماعيّ. أنا وأنت نصبح نحن: أشخاص، عائلات، رابطات، أحزاب سياسيّة، نقابات، فرقاء عمل... نحن متكاملون في جسد واحد (١ كور ١٢/ ١٢-١٨). كما الحجارة في البناء تتصدّع بدون الاسمنت، كذلك الناس في المجتمع يتفكّكون بدون الحبّ. نبع الانسان الاجتماعيّ الذي لا ينضب هو في الثالوث القدوس: فالآب ليس أباً إلاّ في الابن، والآب والابن متّحدان في روح الحبّ.

أنسنة التربية

لا يعيش الانسان بفضل غريزته بل بالتربية. الانسان كائن سريع العطب. فلكي يندمج في المجتمع، ويشكّل في صرحه حجراً، يحتاج الى تربية، تكسبه المعرفة وحسن العيش، وتقنيّات ووسائل للعمل، وطرقاً وأفكاراً وصوراً، وقيماً روحيّة وإنسانيّة وإجتماعيّة وأسباباً للعيش. النهج التربويّ مريض، لأنّ المجتمع لا يحبّ المعلمين، ولأنّ المعلّمين لا ينقلون معنى الحياة والحبّ، معنى العمل والمستقبل، معنى السلطة والمعرفة، معنى ينشّيء أشخاصاً بملء شخصيتهم.

أنسنة الاعلام

وسائل الاعلام هي وسائل للتواصل البشريّ إذ "لا أحد جزيرة" (Thomas Merton). نعاني اليوم من هجوم صور تهدم الثقافات وتحطّ من قدسيّة القيم. لدينا تقنيّات رائعة، لكنّها مبتذلة في مضامينها المؤسفة: تبثّ

هاجس الجنس والعنف والطلاق. فلا بدّ من ردّة فعل واعتراض على هذا الوضع الذي يجرّد الثقافة من حضارتها والانسان من إنسانيّته.

يقيننا أنّ إنسان اليوم آخذ في الانحطاط منذ قرّر أن يعيش مستقلاً عن اللّه، وأن تجدّده يأتي من عودته إلى الجذور، إلى المسيح الذي "يبيّن تماماً الانسان لذات، ويجعله يكتشف سموّ دعوته. ففي المسيح وحده يستنير لغز الانسان وسرّ الوجود" (الكنيسة في عالم اليوم ٢٢).

هذه الأنسنة تشكّل جوهر ثقافة السلام.

■ ثانياً، الخطّة الراعويّة

في ضوء مسيرة الأجيال نحو المسيح الذي يوحّدها بشخصه، وهو "الألف والياء، البداية والنّهاية، الأوّل والأخير" (رؤيا ٢٢/١٣)، تواصل الخطّة الراعويّة التفكير معاً في **علامات الرجاء** التي يقدّمها المجمع البطريركيّ المارونيّ في نصّه الأوّل: "**كنيسة الرجاء**".

١. التقارب المسكونيّ (فقرة ٢٧)

من علامات الرجاء أنّ المسيح يجتذب أبناء الكنائس إلى سلوك الطريق نحو وحدتهم بالمسيح. فقد قامت مبادرات متنوّعة هدفت إلى تعزيز التواصل بين المسيحيين، وبثّ روح المحبّة والتعاون فيما بينهم، وإزالة نقاط سوء التفاهم والأحكام المسبقة. ذلك على مستوى السلطات الكنسية والشعب.

تقتضي **الخطّة الراعويّة** من الجماعات في الرعايا والمجتمع اتّخاذ مبادرات عمليّة لتشديد أواصر الوحدة بين المسيحيين، وللقيام بأعمال ونشاطات لعيش الشهادة معاً لرسالة المسيح الواحدة ولقيم إنجيله.

٢. مريم العذراء حاملة الرجاء (فقرة ٢٨)

وضع المسيحيّون عامّة والموارنة خاصّة رجاءهم في شخص العذراء مريم، ونظروا إليها كعلامة رجاء تقودهم. وهتفوا إليها: "يا ام اللّه، يا حنونة، يا كنز الرحمة والمعونة. انت ملجانا وعليك رجانا. وإن كان جسمك بعيداً منّا، صلواتك هي تصحبنا".

تقتضي **الخطّة الراعويّة** إظهار علامات الرجاء بشخص مريم في ليتورجيّا القدّاس والصلوات والزيّاحات، وتعزيز التعبّد للسيّدة العذراء، سيّدة لبنان، التي تضمن حماية هذا الوطن، هي التي من على تلّة حريصا تبسط يديها عليه مملوءة نعماً وبركات سماويّة. ولا بدّ من المحافظة على التقليد المسيحيّ والمارونيّ بإعطاء البعد المريميّ لصلاتهم في العائلة والجماعات. إنّ صلاة المسبحة التأمليّة تبقى الصلاة الفضلى التي تطبع حياة الأفراد والجماعات بالقيم الانجيليّة.

***

صلاة

في هذا الأحد الأخير من مسيرتنا نحو ميلاد الربّ يسوع، الذي يجتذب الأجيال والشعوب ويوحّدهم، نصلّي صلاته الأخيرة من أجل وحدة المؤمنين به:

"أيّها الآب، مجّد ابنك بإعطاء الحياة الأبديّة لكلّ من أعطيتهم له. والحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنّك أنت الاله الحقيقيّ وحدك، ويعرفوا الذي أرسلته، يسوع المسيح. إحفظهم باسمك ليكونوا واحداً كما نحن واحد. أنا ألقيت عليهم كلمتك، فأبغضهم العالم، لأنّهم ليسوا من العالم، كما أنّي انا

لست من العالم. أنا لا أصلّي لتخرجهم من العالم، بل لتحفظهم من الشرير. قدّسهم بحقك، فإنّ كلمتك هي الحقّ. كما أرسلتني إلى العالم، أنا أيضاً أرسلتهم إلى العالم. ليكونوا مقدّسين في الحقّ. ليكونوا كلّهم واحداً، كما أنت فيّ يا أبي. ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني. أيّها الآب، أريد أن يكون الذين وهبتهم لي، هم أيضاً معي، حيث أكون، ليشاهدوا مجدي الذي وهبتنيه قبل إنشاء العالم. آمين" (انجيل القديس يوحنا ١٧/١-٣، ٢٤،٢١،١٩،١٤،١١).

الاثنين ٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٦

ميلاد الربّ يسوع

المسيح يقود التاريخ البشريّ نحو الأنسنة والسلام

من انجيل القدّيس لوقا ١/١-٢٠

«قال لوقا البشير: في تلك الأيّام، صدر أمر من أغوسطس قيصر بإحصاء كلّ المعمورة. جرى هذا الإحصاء الأوّل، عندما كان كيرينيوس والياً على سوريا. وكان الجميع يذهبون، كلّ واحد إلى مدينته، ليكتتبوا فيها. وصعد يوسف من الجليل، من مدينة الناصرة، إلى اليهوديّة، إلى مدينة داود تدعى بيت لحم، لأنّه كان من بيت داود، وعشيرته، ليكتتب مع مريم خطيبته، وهي حامل. وفيما كانا هناك، تمّت أيامها لتلد، فولدت إبنها البكر، وقمطته، وأضجعته في مذود، لأنّه لم يكن لهما موضع في قاعة الضيوف.

وكان في تلك الناحية رعاة يقيمون في الحقول، ويسهرون في هجعات الليل على قطعانهم. فإذا بملاك الربّ قد وقف بهم، ومجد الربّ أشرق حولهم، فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا! فها أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون للشعب كلّه، لأنّه ولد لكم اليوم مخلّص، هو المسيح الربّ، في مدينة داود. وهذه علامة لكم: تجدون طفلاً مقمّطاً، مضجعاً في مذود!». وانضمّ فجأة إلى الملاك جمهور من الجند السماويين يسبّحون اللّه ويقولون: «المجد للّه في العلى، وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر».

ولمّا انصرف الملائكة عنهم الى السماء، قال الرعاة بعضهم لبعض: «هيّا بنا إلى بيت لحم، لنرى هذا الأمر الذي حدث، وقد أعلمنا به الربّ». وجاؤوا

مسرعين، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضّجعاً في المذود. ولمّا رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم في شأن هذا الصبيّ. وجميع الذين سمعوا، تعجّبوا ممّا قاله لهم الرعاة. أمّا مريم فكانت تحفظ هذه الأمور كلّها، وتتأمّلها في قلبها. ثمّ عاد الرعاة وهم يمجّدون اللّه ويسبّحونه على كلّ ما سمعوا ورأوا، حسبما قيل لهم».

***

لوحة الميلاد تكشف أنّ اللّه يقود مجرى التاريخ. فالبشريّة في مسيرة خلاص شخصيّ وجماعيّ يشمل جميع الوقائع الزمنيةّ. الكنيسة تحمل إنجيل هذه البشرى السارّة، وتشهد له في حياة أبنائها وبناتها ومؤسّساتها.

■ أوّلاً، مضامين لوحة الميلاد الانجيليّة

١. اللّه يقود مجرى التاريخ

حدث الميلاد يظهر أنّ اللّه هو الذي يقود مجرى التاريخ، بحيث يتحقّق في واقعاته تصميم الخلاص. بمناسبة الاحصاء العالميّ يحصل ميلاد الربّ في بيت لحم، فتتمّ **نبوة ميخا** التي قالها قبل الميلاد بسبعماية سنة عن "الحامل" التي تلد في بيت لحم من "يقف ويرعى شعب اللّه بعزّة الربّ، ويعظّمة اسم الربّ الاله، ويتعاظم الى أقاصي الأرض" (ميخا ٥/١-٣). إنّ الذي أمر بالاحصاء، هو المتسلّط على العالم، أغسطوس قيصر، لكنّ المولود الوضيع في بيت لحم هو سيّد السماء والارض، ابن اللّه الذي صار إنساناً، كما أعلن الملاك للرعاة: "أبشّركم بفرح عظيم، يكون للعالم كلّه: لقد ولد اليوم لكم المخلّص الذي هو المسيح الرب، في مدينة داود" (لو ٢/١٠-١١). داود هو رمز هذه الملوكيّة من جوانب ثلاثة: الجانب البيولوجيّ: يوسف ومريم هما من سلالة داود، والمولود الالهيّ "من زرع

داود في الجسد" (روم ١/٣) يحصى في هذه السلالة؛ الجانب الجغرافيّ: بيت لحم هي مدينة داود؛ الجانب الاجتماعيّ: فقر مذود بيت لحم لا قصور أورشليم التي هي مدينة داود بامتياز: "أنت، يا بيت لحم، أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج من يكون متسلّطاً على إسرائيل" (ميخا ٥/١).

وتتحقّق **نبوة أشعيا**، السابقة للميلاد هي أيضاً بسبعماية سنة: "يؤتيكم الربّ نفسه آية: ها إنّ العذراء تحبل فتلد ابناً وتدعو اسمه عمّانوئيل" (اشعيا ٧/١٤). فيستعمل لوقا عن قصد لفظة "خطيبة يوسف حبلى" (لو٢/٥)، على الرّغم من المساكنة الزوجيّة حسب الأصول القانونيّة منذ ستّة أشهر. هذه للدلالة على أنّ مريم هي عروسة الروح القدس، "قوّة العليّ التي ظللتها" (لو ١/٣٥)، لا يوسف، وإنّها العذراء الامّ، وإنّ يوسف زوجها الشرعيّ هو أبو يسوع بالشريعة لا بالطبيعة.

ولدت البتول "ابنها البكر". لفظة "بكر" تعني المولود الأوّل الذي لا يعقبه إخوة، بل الذي ينبغي أن "يقدّم للربّ فدية وولاء للربّ الذي حرّر شعبه" (خروج ١٣/١-١٦). وسيقدّم هذا البكر نفسه للآب على الصليب ذبيحة فداء عن البشريّة جمعاء. ومعه "كبكر بين إخوة كثيرين" (روم ٨/٢٩) يبدأ شعب الله الجديد خلقاً جديداً يدشّن الأزمنة الجديدة للعهد المسيحانيّ. إنّه "بكر الآب" أي "ابن الله الوحيد" (يو ١/١٨؛١ يو ٤/٩)، الذي صار ابن البتول بالجسد البشريّ، "ليكون، وهو صورة الله الذي لا يرى، بكر جميع الخلائق"، (كولسي ١/١٥)، و"ليكون، وهو الذي كان قبل الكلّ وبه كل شيء كوّن، رأس الكنيسة والأوّل والبكر القائم من بين الأموات" (كولسي ١/١٧-١٨).

لقد بدت علامات الخلاص والفداء في البتول الأمّ التي تلد بدون وجع المخاض، هي التي سافرت طوال خمسة أيّام من الناصرة إلى بيت لحم

(١٥٠ كلم)، وهي التي، وحدها وبدون مساعدة من احد، "ولدت ابنها البكر ولفته بالقماطات ووضعته في مذود"، فتكلّلت بمجدين: البتولية والأمومة الالهيّة. كما ظهرت شروط الفداء في فقر المولود الالهيّ ووداعته، وقد وُضع في مذود للبهائم، هو "الذي سيخلي ذاته آذاً صورة عبد، ويطيع حتى الموت على الصليب" (فيلبّي ٢/٧-٩).

٢. مسيرة خلاص البشريّة

عندما ولد يسوع في بيت لحم كان ظهور ملائكيّ في سمائها، بمثابة **ليتورجيّة سماويّة** احتفلت بالحدث الذي "يسير بالأزمنة إلى تمامها" (أفسس ١/١٠)، ماسكاً زمام ماضي البشريّة والكون وحاضرها ومستقبلها حتى نهايتها الاخيرة (Eskaton). "فالمسيح المولود هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عبر ١٣/٨). وقد أنشد جنود السماء: "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام، للناس الذين يحبّهم" (لو ٢/١٤)، محتفلين بذاك الذي تنبّأ عنه أشعيا: "الشعب السائر في الظلمة أبصر نوراً عظيماً... وفّرت للامة الفرح... لانه قد ولد لنا ولد واعطي لنا ابن، فصارت الرئاسة على كتفه. دُعي اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً جبّاراً، أبا الأبد، رئيس السلام، لنموّ الرئاسة ولسلام لا انقضاء له، على عرش داود مملكته، ليقرّها ويوطّدها بالحقّ والبرّ من الآن وإلى الأبد. غيرة الربّ تصنع هذا" (اش ٩/١-٢؛٥-٦). إنّ ليتورجيا الأرض في الكنائس تواصل هذا الاحتفال بالحدث الخلاصيّ. والناس ذوو الارادة الحسنة يلتزمون بعمل الخلاص على اختلاف مستوياته: الروحيّة والثقافيّة، الاجتماعيّة والاقتصاديّة، السياسيّة والانمائيّة.

بلغت البشرى إلى الرعاة، وهم رمز الناس المهمّشين والفقراء والمستضعفين والأخيرين في الفئات الاجتماعيّة والرحّل وغير المستقرّين،

سواء على الصعيد الماديّ أم الرّوحي أم الخلقيّ أم الإجتماعيّ؛ هؤلاء الذين قال عنهم الفادي الالهيّ يوم أعلن رسالته في مجمع الناصرة: "روح الربّ عليّ مسحني وأرسلني لأبشّر المساكين" (لو ٣/١٨). وقد أظهر تضامنه الحسّي والمعنويّ والاجتماعيّ معهم بولادته في مذود لعدم وجود موضع له حيث نزل والداه (أنظر لوقا ٢/٧). لهؤلاء قال الملاك: "أبشّركم بفرح عظيم" هو ميلاد من يأتي ليحمل لهم التحرير والخلاص. كانت البشرى لشعب زمانه المنتظر بشوق هذا التحرير الخلاصيّ، وهي "للعالم كلّه" ولكلّ شعب يتلقّى في أي زمان هذا النداء ويسعى إلى عيشه. لفظة "ابشّركم" تعني "أنقل إليكم خبراً مفرحاً". هذا ما تعنيه لفظة "إنجيل" ومنها "الأنجلة"، لا بالمعنى السلبيّ الذي تأخذه اليوم لفظة "تبشير"، أي "اقتناص" الناس لدين او مذهب لغايات سياسيّة أو مصالح بشريّة واجتماعيّة.

رسالة **الكنيسة** هي "الأنجلة"، أعني نقل بشرى الخلاص لجميع الناس، والشهادة لهذا الخلاص في نشاطاتها ومؤسّساتها الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والانسانيّة، والحكم الأدبيّ على إداء بشريّ زمنيّ، بما فيه الأداء السياسيّ في ما يتعلّق بالخلاص لجميع الناس في مختلف مضامينه، من دون أن تتدخّل الكنيسة في "تقنيّات" هذا الأداء أو تتلون بأيّ لون سياسيّ حزبيّ أو فئويّ.

نسمع اليوم من يقول: "على الكنيسة ألاّ تتعاطى الشأن السياسيّ". هؤلاء يخلطونه من جهة بين المبادىء التي تعلنها الكنيسة والتقنيّات التي يمارسها السياسيّون؛ ومن جهة ثانية لا يريدون تطبيق المبادىء على ممارستهم، فينحرفون عن الخير العامّ وكرامة الانسان وحقوقه، وعن العدالة الاجتماعيّة والوفاق، وعن كرامة شعب ومصلحة وطن ودولة. فلا بدّ من التعاون المخلص بين السلطة السياسية والكنيسة.

إنّها بشرى – أنجلة دائمة: "اليوم ولد لكم المخلص" (لو ٢/١١). إنّه يوم اللّه الذي يصبح يوم الانسان، اليوم الخلاصيّ والنهيويّ: بداية العهد المسيحانيّ الذي انتهت معه مسيرة التحضير الطويلة في العهد القديم، وبداية الزمن الأخير والحاسم لخلاص جميع الناس. اليوم، دخل في التاريخ عالمُ اللّه النهائيّ، لا بالمفهوم السياسيّ والقوميّ، بل بمفهوم الخلاص المسيحانيّ. فاللّه وحده الربّ، ولا إله سواه: "أنا الأوّل وأنا الآخر، ولا إله غيري (اشعيا ٤٤/٦). توجّهوا إليّ فتخلّصوا يا جميع أقاصي الأرض" (اشعيا ٤٥/٢٢). ويجيب الشعب بصلاة المزمور: "أنصرنا يا إله خلاصنا إكراماً لمجد اسمك، وأنقذنا واغفر خطايانا من أجل إسمك" (مو ٧٩/٩). وعندما سأله الرسل في آخر لحظة، قبيل صعوده إلى السماء: "أفي هذا الزمن تعيد المُلك إلى إسرائيل"؟ (اعمال ١/٦)، صحّح نظرتهم وآمالهم، وحدّثهم عن مملكته الروحيّة وقوّتها: "الروح القدس ينزل عليكم، فتنالون قوّة وتكونون لي شهوداً حتى أقاصي الأرض" (اعمال ١/٨).

مملكته ذات سلطان كهنوتيّ وخلاصيّ. فالمولود، كما أعلنه الملاك، هو "المسيح الربّ"، لفظة "**مسيح**" تعني ذاك الذي مُسح كاهناً ونبيّاً وملكاً، وأصبح ينبوع المسحة الكهنوتيّة والنبويّة والملوكيّة لشعب اللّه الجديد، الذي قبل بدوره هذه المسحة بالمعموديّة، باب الأسرار كلّها. الكنيسة تعمل بسلطان هذه المسحة المثلّثة، وتشهد لمفاعيلها.

لفظة "**الرب**" تشمل الألوهة وسلطان المسيح الخلاصيّ. ففي المفهوم البيبليّ، لقب "الربّ" المتّصل باللّه يعني دائماً وفي أن الألوهة والعمل الخلاصيّ. أمّا الكنيسة فهي "اداة الخلاص الشامل"، بفضل حضور اللّه فيها وعمله بواسطتها.

٣. مسؤوليّة المخلّصين

تلّقى "رعاة بيت لحم" خبر الحدث والوحي، وقالوا بعضهم لبعض: "هلمّ بنا إلى بيت لحم لنرى الحدث الذي أخبرنا به الربّ" (لو ١/١٥). فأسرعوا إلى المكان، ورأوا الحدث، وأخبروا عن الوحي الذي قيل لهم عن الطفل (لو ٢/١٦-١٧). "فحفظته مريم في قلبها" وأضحت قدوة لكلّ نفس تصغي وتتأمّل في كلمة اللّه، وتتعمّق في الايمان أكثر فأكثر. نحن مدعوذون لنصغي مثل مريم والرعاة، ونؤمن بما نسمع ونعلن بدورنا الخبر. فكلّ خبر من عند اللّه سارّ. ولذا ينبغي أن نقبله في القلب ونعلنه بالكلمة والعمل. هذا ما جرى مع الرعاة الذين واصلوا نشيد الملائكة، إذ "رجعوا وهم يمجّدون اللّه ويسبّحون" (لو ٢/٢٠). فكانوا أوّل المستودعين بشرى المخلص، وأوّل المعلنين الفرحين للبشرى، وأوّل الممجّدين للّه والمسبّحين "على كلّ ما سمعوا ورأوا".

عندما دخل البكر إلى العالم، سجدت له جميع ملائكة اللّه (عبرانيين ١/٦). وفي الأرض سجد له يوسف، وسجدت مريم لمن ولدت، وسجد رعاة بيت لحم، وسيسجد المجوس من المشرق. هكذا تلتقي ليتورجيّا السماء وليتورجيّا الأرض. ويلتقي اللّه والبشر، والربّ والرعاة، في من هو إله حقّ وإنسان حقّ. بهذا يتمجد اللّه في السماء ويحلّ السلام في الأرض.

٤. لوحة الميلاد إنجيل الأنسنة والسلام

بميلاد ابن اللّه إنساناً، عاد لكلّ إنسان بهاء إنسانيّته، ومنح اللّه العالم هبة السلام، وأعطى معنى للحياة البشريّة وللوجود التاريخيّ.

"**يسوع ابن يوسف من الناصرة**" (يو ١/٤٥) هكذا أحصي السيّد المسيح مخلّص العالم في أوّل إحصاء للعالم المعروف. إنّه ينتمي إلى الجنس

البشريّ، إنساناً بين الناس، مواطناً في هذا العالم، خاضعاً للشريعة، لكنّه مخلّص العالم.

أوريجانس يفسّر المعنى اللاهوتيّ لإحصاء يسوع المسيح: "أحصي مع الجميع، فاستطاع أن يقدّس الجميع. مع كلّ الأرض اكتُتب في الاحصاء، فقدّم للأرض الشركة معه. كتب كلّ أناس الأرض في كتاب الأحياء، بحيث أنّ من يؤمن به يُحصى في السماء مع القدّيسين حول من له المجد والسلطان إلى دهر الدهور" (حارس الفادي، ٩).

أنشد الملائكة ليلة ميلاده: "المجد للّه في العلى، وعلى الارض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر".

المجد للّه: "مجد اللّه الإنسان الحيّ" يقول القدّيس إيريناوس. ابن اللّه المتجسّد هو هذا الانسان الحيّ، وقد "صار بكراً لاخوة كثيرين"، على ما كتب القدّيس بولس إلى أهل روما، "لكي يكونوا على مثال صورة هذا الابن" (روم ٢٩/٨). وهكذا يكون كلّ إنسان "مجد اللّه الحيّ". هذه هي **الأنسنة الجديدة.**

كتب خادم اللّه البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته العامّة الأولى "فادي الانسان":

"لقد نفذ المسيح، فادي العالم، إلى سرّ الانسان ودخل قلبه" (فقرة ٨). وتابع من تعليم المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني "أنّ المسيح آدم الجديد، بإظهاره سرّ الآب ومحبّته، كشف بجلاء الإنسان للإنسان عينه وأبان له سموّ دعوته. إنّ سرّ الانسان لا يتّضح إلاّ في سرّ الكلمة المتأنّس. ذاك الذي هو صورة الآب غير المنظور (كولسي ١٥/١) هو عينه الانسان

الكامل الذي أعاد إلى أبناء آدم الشبه الالهيّ الذي شوّهته منذ ذاك الحين الخطيئة الأولى. ولمّا كان قد اتّخذ الطّبيعة البشريّة من دون أن يذيبها فيه، فقد رفعها بالفعل ذاته إلى مقام عظيم. لأنّه هو ابن اللّه الذي بتجسّده قد انضمّ نوعاً ما إلى كلّ إنسان. لقد اشتغل بيدي انسان، وفكرّ بعقل انسان، وعمل بإرادة إنسان، وأحب بقلب إنسان. لقد ولد من عذراء وصار حقّاً واحداً منا مشابهاً لنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة" (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٢). إنّه **الانسان الجديد،** فادي الانسان.

"**السلام على الأرض**": عندما يستعيد الانسان انسانيّته، أي صورة اللّه فيه، يعيش بسلام مع الخلق أجمع. فالسلام مع اللّه سلام مع الخليقة كلّها. و"المسيح سلامنا" (أفسس ٢/ ١٤). لقد "بشر بالسّلام الأباعد والأقارب" (أفسس ٢/ ١٧)، و"حقّق السلام بدم صليبه" (كولسي ١/ ٢٠). السلام عطيّة من اللّه، وقد ائتمننا عليها. لكنّ السلام هو "ثمرة العدالة" (اشعيا ٣٢/ ١٧)، وهو "انماء الانسان والمجتمع الذي اصبح الاسم الجديد للسلام" (البابا بولس السادس: ترقي الشعوب،٨٧).

"**الرجاء للبشر**": أعطى ابن اللّه المتجسّد معنى لحياة الانسان ووجوده. الرعاة **جاؤوا** مسرعين ورأوا مريم ويوسف والطفل في المذود. ولمّا رأوا **آمنوا** بما قيل لهم من الملائكة، **وأخبروا** بما قيل لهم عن الطفل، **ورجعوا مهلّلين فرحين** يمجّدون اللّه ويسبّحونه على كلّ ما سمعوا ورأوا (لو ١/ ١٦-٢٠). ما ينقص الناس بالاكثر، بل ما يحتاجون اليه، ليس فقط الوسيلة للعيش، بل الاسباب للعيش. ينقصهم الرجاء، والرجاء هو أن نؤمن ان للحياة معنى. التزامنا، في الألف الثالث، أن نعطي الناس أسباباً للعيش.

■ ثانياً، الخطّة الراعويّة

مع ميلاد الربّ يسوع تنتهي الخطّة الراعويّة من التأمّل معاً في موضوع "**كنيسة الرجاء**"، وهو مضمون النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ. وقد بلغنا إلى "**آفاق الرجاء**" (الفقرات ٢٩-٣٠).

ذروة الرجاء تجسّد ابن اللّه ليكون "عمانوئيل" - اللّه معنا، الذي وعد الكنيسة بأنّ "أبواب الجحيم، قوى الشرّ، لن تقوى عليها" (متّى ١٦/١٨). الرجاء التزام، والالتزام برهان على مصداقيّة الرجاء.

الرجاء، في خطّتنا الراعويّة، هو التزامنا جميعاً ككنيسة في متابعة المسيرة المجمعيّة بتقبّل التّعليم وتطبيق التوصيات، بالاتّكال على الرّوح القدس الذي يقود الكنيسة إلى كل حق وخير وجمال. إن العمل الكنسيّ المشترك يتطلّب تضحيات جمّة، منها التخلّي عن الأنانيّات بكلّ أشكالها، وتبنّي الموقف الذي أوصى به الربّ يسوع: "الكبير فيكم فليكن خادم الجميع، ومن فقد نفسه من أجلي، حفظها لحياة الأبد".

بعد التأمّل معاً في كنيسة الرجاء طوال زمن الميلاد، يدعونا النصّ المجمعيّ أن نقول لابن اللّه المتجسّد في مغارة بيت لحم، ما قاله له تلميذا عمّاوس، يوم قيامته: "إبقَ معنا يا ربّ" (لو ٢٤/٢٩). لكنّه هو يقول لنا: **أبقوا أنتم معي**، "لأنّكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (لو ١٥/٥). هذه هي دعوة المستقبل التي تعيدنا الى عمق هويّتنا، وتجدّد حاضرنا، وتحقّق حضورنا الفاعل في عالم اليوم.

***

صلاة

ليلة الميلاد، يمّحي البغضُ. ليلة الميلاد، تُزهر الأرضُ

ليلة الميلاد، تدفنُ الحربُ. ليلة الميلاد، ينبتُ الحب.

عندما نسقي عطشان كأس ماء، نكون في الميلاد.

عندما نكسو عرياناً ثوبَ حبّ، نكون في الميلاد.

عندما نكفكفُ الدموعَ في العيون، نكون في الميلاد.

عندما نفرشُ القلوبَ بالرجاء، نكون في الميلاد.

صدر في السلسلة

- المسيح نور ينجلي للأمم (زمن الميلاد ٢٠٠٥- ٢٠٠٦)
- نور إنجيل مجد المسيح (زمن الغطاس والتذكارات ٢٠٠٥- ٢٠٠٦)
- معرفة حقيقة المسيح تحرّر (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٦)
- الانجيل قوّة الله لحياة جميع من يؤمن به (زمن القيامة ٢٠٠٦)
- الشهادة لإنجيل نعمة اللّه (زمن العنصرة ٢٠٠٦)
- كلمة الحقّ في الإنجيل تنمو وتثمر (زمن العنصرة – تابع – ٢٠٠٦)
- الشّهادة لإنجيل نعمة اللّه (زمن الصليب ٢٠٠٦)



Bibliotheca Alexandrina
0701854



9 789953 457079

ISBN 9953-457-07-7